جهود الدولة العثمانية في مساندة مسلمي إمارة هرر الإسلامية ضد مملكة الحبشة المسيحية وحليفتها البرتغال في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي

د. حمساء حبيش رزاح ماضي آل قويد الدوسري

أستاذ مشارك بقسم التاريخ والآثار – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة الملك خالد

جهود الدولة العثمانية في مساندة مسلمي إمارة هرر الإسلامية ضد مملكة الحبشة المسيحية وحليفتها البرتغال في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي

د. حمساء حبيش رزاح ماضي آل قويد الدوسري

ملخص الدراسة:

شهدت منطقة شرق إفريقيا في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي تطورات مهمة على الصعيدين السياسي والعسكري ، خاصة في علاقة القوى الإسلامية بمملكة الحبشة المسيحية ،ففي الوقت الذي خضعت فيه مملكة الحبشة المسيحية لتهديدات القوى الإسلامية المتزايدة ، خضعت للأطماع البرتغالية التي قد توسعت في المنطقة منذ بداية القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ؛ للهيمنة على مناطق التجارة البحرية ، وفي تلك الأثناء بدأ العثمانيون في التركيز على دعم وجودهم في البحر الأحمر ، فضلا عن الحفاظ على مسارات التجارة الحيوية بين البحر الأحمر والمحيط الهندي ، ووجد العثمانيون في مساندة مسلمي إمارة هرر الإسلامية والقوى الإسلامية في شرق إفريقيا فرصة ثمينة لتعزيز وجودهم في منطقة البحر الأحمر من ناحية ، ومنع توسع البرتغاليين في السواحل الإسلامية وتحالفهم مع مملكة الحبشة المسيحية من ناحية أخرى ، فتحالف العثمانيون مع مسلمي إمارة هرر الإسلامية ، وقدموا لهم المساعدات العسكرية والاقتصادية ، وأرسلوا أساطيلهم البحرية إلى البحر الأحمر ، ومنطقة السواحل الشرقية لإفريقيا ، كما قاموا بالسيطرة الفعلية على السواحل الغربية للبحر الأحمر ، وتأسيس ما عرف بـ(ولاية الحبش) ، وبفضل الدعم العثماني تمكنت القوات الإسلامية في شرق إفريقيا من مواجهة التهديدات الحبشية – البرتغالية ، كما أكدت تلك الإمدادات على دور الدولة العثمانية كحامية للإسلام والمسلمين في تلك المنطقة من المخططات الصليبية البرتغالية في الوصول إلى الأماكن المقدسة في الحجاز ، وهو ما ساعد على تعزيز نفوذها في المنطقة ، وإيقاف المد البرتغالي ، وحماية الشعوب الإسلامية في منطقة شرق إفريقيا.

وتسعى هذه الدراسة إلى استجلاء طبيعة دور العثمانيون وجهودهم في مساندة مسلمي إمارة هرر الإسلامية ضد كل من مملكة الحبشة المسيحية وحليفتها البرتغال ، وتوضيح أثر ذلك في دعم سياستهم في البحر الأحمر ؛ لمواجهة النفوذ البرتغالي المتزايد في سواحله ، وذلك في ضوء الأحداث التي مرت بها منطقة شرق إفريقيا ، وتحليلها تحليلا تاريخيا ، إلى جانب كشف الأسس والمرتكزات التي انطلقت منها تلك السياسة في تأسيس ولاية الحبش .

الكلمات المفتاحية : شرق إفريقيا ، الحبشة ، البرتغال ، ولاية الحبش ، سواكن ، مصوع ، هرر ، الدولة العثمانية.

Abstract :
The East African region in the tenth century AH / sixteenth century AD witnessed important developments at the political and military levels, especially in the relationship of the Islamic powers with the Christian Kingdom of Abyssinia, at a time when the Christian Kingdom of Abyssinia was subject to the increasing threats of the Islamic powers, it was subject to the Portuguese ambitions that had expanded in the region since the beginning of the tenth century AH / sixteenth century AD; to dominate the maritime trade areas, and in the meantime the Ottomans began to focus on supporting their presence in the Red Sea The Ottomans found in support of the Muslims of the Islamic Emirate of Harar and the Islamic powers in East Africa a valuable opportunity to strengthen their presence in the Red Sea region on the one hand, and prevent the expansion of the Portuguese in the Islamic coasts and their alliance with the Christian Kingdom of Abyssinia on the other hand, so the Ottomans allied with the Muslims of the Islamic Emirate of Harar, provided them with military and economic aid, and sent their naval fleets to the Red Sea, and the The eastern coasts of Africa, as they effectively controlled the western coasts of the Red Sea, and established what was known as the "Abyssinian Province", and thanks to the Ottoman support, the Islamic forces in East Africa were able to face the Abyssinian-Portuguese threats, and those supplies also confirmed the role of the Ottoman Empire as the protector of Islam and Muslims in that region from the Portuguese Crusader plans in reaching the holy places in the Hejaz, which helped to strengthen its influence in the region, and stop the Portuguese tide. and the protection of the Muslim peoples in the East African region. This study seeks to clarify the nature of the role of the Ottomans and their efforts in supporting the Muslims of the Islamic Emirate of Harar against both the Christian Kingdom of Abyssinia and its ally Portugal, and to clarify the impact of this in supporting their policy in the Red Sea to confront the increasing Portuguese influence in its coasts, in light of the events that the East African region went through, and to analyze it historically, in addition to revealing the foundations and foundations from which this policy was launched in the establishment of the Abyssinian state. Keywords : East Africa, Abyssinia, Portugal, Abyssinian Province, Suakin, Massaw, Harar, Ottoman Empire.

موضوع الدراسة:

شهدت منطقة شرق إفريقيا في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي تطورات مهمة على الصعيدين السياسي والعسكري ، خاصة في علاقة القوى الإسلامية بمملكة الحبشة المسيحية، ففي الوقت الذي خضعت فيه مملكة الحبشة المسيحية لتهديدات القوى الإسلامية المتزايدة، خضعت للأطماع البرتغالية التي قد توسعت في المنطقة منذ بداية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي ؛ للهيمنة على مناطق التجارة البحرية، وفي تلك الأثناء بدأ العثمانيون في التركيز على دعم وجودهم في البحر الأحمر ، فضلا عن الحفاظ على مسارات التجارة الحيوية بين البحر الأحمر والمحيط الهندي ، ووجد العثمانيون في مساندة القوى الإسلامية في شرق إفريقيا وخاصة (إمارة هرر الإسلامية) فرصة ثمينة لتعزيز وجودهم في منطقة البحر الأحمر من ناحية ، ومنع توسع البرتغاليين في السواحل الإسلامية وتحالفهم مع مملكة الحبشة المسيحية من ناحية أخرى، فتحالف العثمانيون مع القوى الإسلامية في شرق إفريقيا ، وقدموا لهم المساعدات العسكرية والتمويلات الاقتصادية ، كما قاموا بإرسال أساطيلهم البحرية إلى البحر الأحمر ، ومنطقة السواحل الشرقية لإفريقيا ، كما عملوا على توفير الأسلحة والأموال وجميع الإمدادات الاقتصادية ؛ لتقوية الجيوش الإسلامية المحلية ، كما قاموا بالسيطرة الفعلية على السواحل الغربية للبحر الأحمر في سنة ٩٦٥هـ/ ١٥٥٧م ، عندما نجح أوزدمير باشا بالسيطرة الفعلية على تلك المناطق من سواكن شمالا حتى مصوع وزيلع جنوبا ، وتأسيس ما عرف بـ(ولاية الحبش) ، وبفضل الدعم العثماني تمكنت القوات الإسلامية في شرق إفريقيا من مواجهة التهديدات الحبشية – البرتغالية ، كما أكدت تلك الإمدادات على دور الدولة العثمانية كحامية للإسلام والمسلمين في تلك المنطقة من المخططات الصليبية البرتغالية في الوصول إلى الأماكن المقدسة في الحجاز ، وهو ما ساعد على تعزيز نفوذها في المنطقة ، وإيقاف المد البرتغالي ، وحماية الشعوب الإسلامية في منطقة شرق إفريقيا.

وتسعى هذه الدراسة إلى استجلاء طبيعة دور العثمانيون وجهودهم في مساندة مسلمي (إمارة هرر الإسلامية) وأثر ذلك في دعم السياسة العثمانية في البحر الأحمر في تلك المدة الزمنية موضوع الدراسة ؛ لمواجهة النفوذ البرتغالي المتزايد في البحر الأحمر ، وذلك في ضوء الأحداث التي مرت بها منطقة شرق إفريقيا ، وتحليلها تحليلاً تاريخياً، إلى جانب كشف الأسس

والمرتكـزات التـي انطلقـت منهـا تلـك السياسـة فـي تأسـيس مـا عـرف بـ (ولايـة الحـبش).

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على طبيعة دور الدولة العثمانية وجهودها في مساندة مسلمي إمارة هرر الإسلامية ، وربط مساعيها في ضم السواحل الغربية للبحر الأحمر بسياستها العامة في البحر الأحمر ، ومدى نجاح السياسة العثمانية في دعم مساعيها في ترسيخ وجودها في السواحل الغربية للبحر الأحمر من جهة، وتحقيق سياستها الاستراتيجية في البحر الأحمر بصفة عامة من جهة أخرى ، والتعرف على المتغيرات التاريخية الداخلية والخارجية المؤثرة على علاقة العثمانيون بمسلمي إمارة هرر الإسلامية خاصة ، ومسلمي شرق إفريقيا عامة ، من خلال إبراز عوامل هذا الارتباط ومظاهره المتعددة في الجوانب السياسية والعسكرية والاقتصادية ، مع توضيح ردة فعل كل من مملكة الحبشة المسيحية والبرتغال من الوجود العثماني في السواحل الغربية للبحر الأحمر، خاصة بعد تأسيس ما عُرف بـ(ولاية الحبش).

تساؤلات الدراسة:

يثير موضوع الدراسة عدة تساؤلات، والتي ستكون أجوبتها ركائز رئيسة تنطلق منها هذه الدراسة، وهي :

- ما أهمية مدينة هرر بالنسبة للأحباش؟
- ما دور العثمانيون في مساندة مسلمي إمارة هرر الإسلامية من الناحيتين الدفاعية والهجومية؟
- ما المتغيرات التاريخية الداخلية والخارجية المؤثرة على علاقة العثمانيون بمسلمي إمارة هرر الإسلامية ؟
- ما أبرز عوامل ارتباط العثمانيون بمسلمي إمارة هرر الإسلامية ؟ وما مظاهره المتعددة في الجوانب السياسية والعسكرية والاقتصادية؟
- ما الأسس والمرتكزات التي انطلقت منها السياسة العثمانية في تأسيس ما عرف بـ(ولاية الحبش)؟
- ما ردت فعل كل من مملكة الحبشة المسيحية وحليفتها البرتغال من الوجود العثماني في السواحل الغربية للبحر الأحمر، خاصة بعد تأسيس ما عرف بـ(ولاية الحبش)؟

- ما مدى نجاح أمير هرر أحمد بن إبراهيم القرين في إخضاع أراضي الحبشة ونشر الإسلام بين سكانها؟
- ما أثر جهود العثمانيون في مساندة مسلمي إمارة هرر الإسلامية في دعم مساعيها وترسيخ وجودها في السواحل الغربية للبحر الأحمر من جهة وتحقيق سياستها الاستراتيجية في البحر الأحمر عامة من جهة أخرى؟
- ما مدى نجاح العثمانيون في حماية البحر الأحمر وتأمينه من الخطر البرتغالي؟ وما أبرز النتائج التي وصلت إليها تلك المعارك بين الحلف الإسلامي الممثل في العثمانيين ومسلمي إمارة هرر الإسلامية والحلف المسيحي الممثل في الحبشة المسيحية وحليفتها البرتغال؟
- ما عوامل ضعف جهاد إمارة هرر الإسلامية عقب وفاة نور بن مجاهد ؟
- ما مدى أثار تلك الهزائم المتعاقبة التي تعرضت لها مملكة الحبشة المسيحية من حروبها المستمرة مع مسلمي إمارة هرر الإسلامية من جهة ، وزحف قبائل الجالا داخل أراضيها من جهة أخرى في حالة الاضطرابات والفوضى والتشتت التي عاشتها الحبشة بعد ذلك مدة قرنين من الزمان؟

الحدود المكانية والزمنية للدراسة :

أما الحدود المكانية لموضوع الدراسة، فقد اقتصرت في حدودها المكانية على السواحل الغربية للبحر الأحمر، وحدود ولاية الحبش بمفهومها الإداري بعد تأسيسها وتبعيتهما للدولة العثمانية في تلك الحقبة التاريخية ، كما اقتصرت في حدودها الزمنية على القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، الذي شهد الغزو البرتغالي على سواحل شرق إفريقيا من جهة، وتحالف البرتغاليين مع مملكة الحبشة المسيحية من جهة أخرى ، كما شهد تأسيس ما عُرف بـ(ولاية الحبش) التي أدى وجودها إلى ترسيخ النفوذ العثماني على السواحل الغربية للبحر الأحمر، ومن ثم تقديم المساعدات العسكرية والاقتصادية لمسلمي إمارة هرر الإسلامية في جهادها الإسلامي ضد كل من مملكة الحبشة المسيحية وحليفتها البرتغال .

منهج الدراسة:

أما المنهج الذي اعتمدت عليه هذه الدراسة فهو المنهج التاريخي الوصفي القائم على الاستنتاج والتحليل ، وتقصي المعلومات وجمعها من الوثائق والمصادر المختلفة ورصدها ، ومن

ثم تحليلها ومناقشتها في إطار الحقائق التاريخية التي تُعالج في هذه الدراسة مع الأخذ بأداة تحليل النص عن طريق النقد التاريخي .

الدراسات السابقة:

على الرغم من وجود بعض الدراسات التي تناولت جوانب من جهود الدولة العثمانية في مقاومة الوجود البرتغالي في البحر الأحمر في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، إلاَّ أنها ركزت على سياسة الدولة العثمانية في كل من الحجاز واليمن ، ولا توجد دراسة تفصيلية بشكل متكامل عن موضوع جهود الدولة العثمانية في مساندة مسلمي إمارة هرر الإسلامية موضع الدراسة، إذ لا توجد حتى الآن دراسة متخصصة في هذا الموضوع من كافة جوانبه، وعلى الرغم من ذلك وقفت الباحثة على بعض الدراسات التي تطرقت إلى بعض جوانب الموضوع، وسأتعرض لذكرها هنا؛ نظراً لإمكانية الاستفادة من معلوماتها، ومناهجها، والنتائج التي تم التوصل إليها منها، وهي كالآتي:

١- دراسة الباحث بابكور، عمر سالم .**حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشريفين في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي.** رسالة ماجستير. مكة المكرمة: جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، حيث تحدثت هذه الدراسة عن جهود الدولة العثمانية في مقاومة الخطر البرتغالي بضم كل من الحجاز واليمن واتخاذ عدن قاعدة عسكرية أمامية، لمواجهة حملات البرتغاليين للدخول إلى البحر الأحمر، وتختلف عن الدراسة المقدمة بالتركيز على سياسة الدولة العثمانية في البحر الأحمر عامة، خاصة سواحله الشرقية ، في حين ركزت الدراسة المقدمة على سياسة الدولة العثمانية في السواحل الغربية للبحر الأحمر وساحل الصومال، وقد استفادت منها الدراسة المقدمة في توضيح الحملات البرتغالية للدخول إلى البحر الأحمر، ومحاولة الوصول إلى الأماكن المقدسة في الحجاز، وجهود الدولة العثمانية في التصدي لتلك الحملات وإحباط محاولاتها في تحقيق أهدافها الصليبية في الوصول إلى ميناء جدة؛ للوثوب منه إلى الأماكن المقدسة في الحجاز.

٢- دراسة الباحث المالكي ، محمد ضيف الله عزيز. **العثمانيون والبحر الأحمر (٩٢٣- ١٠٤٥هـ/ ١٥١٧- ١٦٣٥م)** . رسالة ماجستير. الإسكندرية: جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، حيث تحدثت هذه الدراسة عن بداية وصول البرتغاليين إلى البحر الأحمر، وعن موقف القوى المحلية في اليمن للتصدي لخطر البرتغاليين، كما تحدثت

عن التوسع العثماني في البحر الأحمر بضم كل من الحجاز واليمن، والنظام الإداري المتبع في حكمهما، كما تطرقت إلى وصول العثمانيين للساحل الغربي للبحر الأحمر وتأسيس ولاية الحبش بشكل عام، كما تحدثت في الفصل الأخير عن موقف العثمانيين تجاه القوى الأوروبية (الهولندية والإنجليزية) في البحر الأحمر حتى سنة ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م، وتختلف عن الدراسة المقدمة بالتركيز على سياسة الدولة العثمانية في السواحل الشرقية للبحر الأحمر، في حين ركزت الدراسة المقدمة على سياسة الدولة العثمانية في السواحل الغربية للبحر الأحمر وساحل الصومال ، وفق العناصر الموضحة في محتوى الدراسة ، وقد استفادت منها الدراسة المقدمة في توضيح جهود أوزدمير باشا في تأسيس ما عرف بـ(ولاية الحبش) وربطها سياسيا وإداريا بإيالة مصر ، ثم بوالي جدة العثماني .

محتوى الدراسة:

أما محتوى الدراسة فقد احتوت على أربعة أقسام رئيسة، إضافة إلى المقدمة والخاتمة والتوصيات ومصادر الدراسة ومراجعها.

فالمقدمة: تركزت على خطة الدراسة ومنهجها.

والقسم الأول التمهيد: وجاء بعنوان : (نشأة الإمارات الإسلامية في شرق إفريقيا وعلاقتها بمملكة الحبشة المسيحية) .

أما القسم الثاني: فكان بعنوان: (وصول البرتغاليين إلى شرق إفريقيا) .

أما القسم الثالث : فجاء بعنوان : (اتصال البرتغاليين بمملكة الحبشة المسيحية) .

أما القسم الرابع : فكان بعنوان: (سياسة الدولة العثمانية تجاه الوجود البرتغالي في شرق إفريقيا وساحل الصومال) ويشتمل على ثلاثة عناصر هم.

١- دوافع العثمانيون لمد نفوذهم على الساحل الغربي للبحر الأحمر .

٢- مساندة مسلمي إمارة هرر الإسلامية في شرق إفريقيا ضد كل من مملكة الحبشة المسيحية وحليفتها البرتغال .

٣- تأسيس ولاية الحبش واستمرار العثمانيون في دعم المقاومة الإسلامية في إمارة هرر.

أما الخاتمة: فتضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وهي مهمة ومتعددة، إضافة إلى التوصيات التي تقدمها الدراسة .

مصادر الدراسة ومراجعها:

أما ما يتعلق بمصادر الدراسة ومراجعها فقد اعتمدت على مجموعة من الوثائق العثمانية المحفوظة في أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول، إلى جانب كتب السالنامات الحجازية، والمصادر العربية والمعربة المتنوعة، إضافة إلى المراجع العربية والأجنبية والدوريات العلمية المتعلقة بموضوع الدراسة.

وأخيرا أدعو المولى عز وجل أن يوفقني في إخراج هذه الدراسة في شكل علمي جاد ومتميز، وأن تكون هذه الدراسة المتواضعة ثمرة نافعة للقراء والباحثين، وأن تضيف لبنة جديدة إلى لبنات تاريخ البحر الأحمر إبأَّن العصر العثماني الزاخر والله ولي التوفيق إنه على كل شيء قدير وهو حسبي ونعم الوكيل.

أولاً: التمهيد: نشأة الإمارات الإسلامية في شرق أفريقيا وعلاقتها بمملكة الحبشة المسيحية:

ذكرت بعض المصادر التاريخية أن أول دولة إسلامية نشأت في بلاد أثيوبيا هي مملكة (شوا)[١] التي قامت في الجزء الشرقي من الإقليم المسمى بذات الاسم في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، وتنسب هذه المصادر التاريخية تأسيس تلك المملكة إلى ود بن هشام المخزومي، الذي خرج من الحجاز مع بعض رجال قبيلته أثناء خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ / ٦١٤-٦٤٣م) – رضي الله عنه –[٢].

كما ذكر بعض المؤرخين وجود سبع ممالك إسلامية أخرى امتدت على مساحات شاسعة في الشرق والجنوب الشرقي من بلاد أثيوبيا، حيث كونت شريطاً ساحلياً بين أثيوبيا والبحر الأحمر، كالطراز له، وكان ذلك مما دعا بعض المؤرخين العرب بتسمية تلك الممالك بـ (ممالك الطراز الإسلامي)، وهي: ممالك إيفات (أوفات) وعدل وهادية وفتاجار ودوارو وبالي وآربا[٣].

خريطة رقم (١)

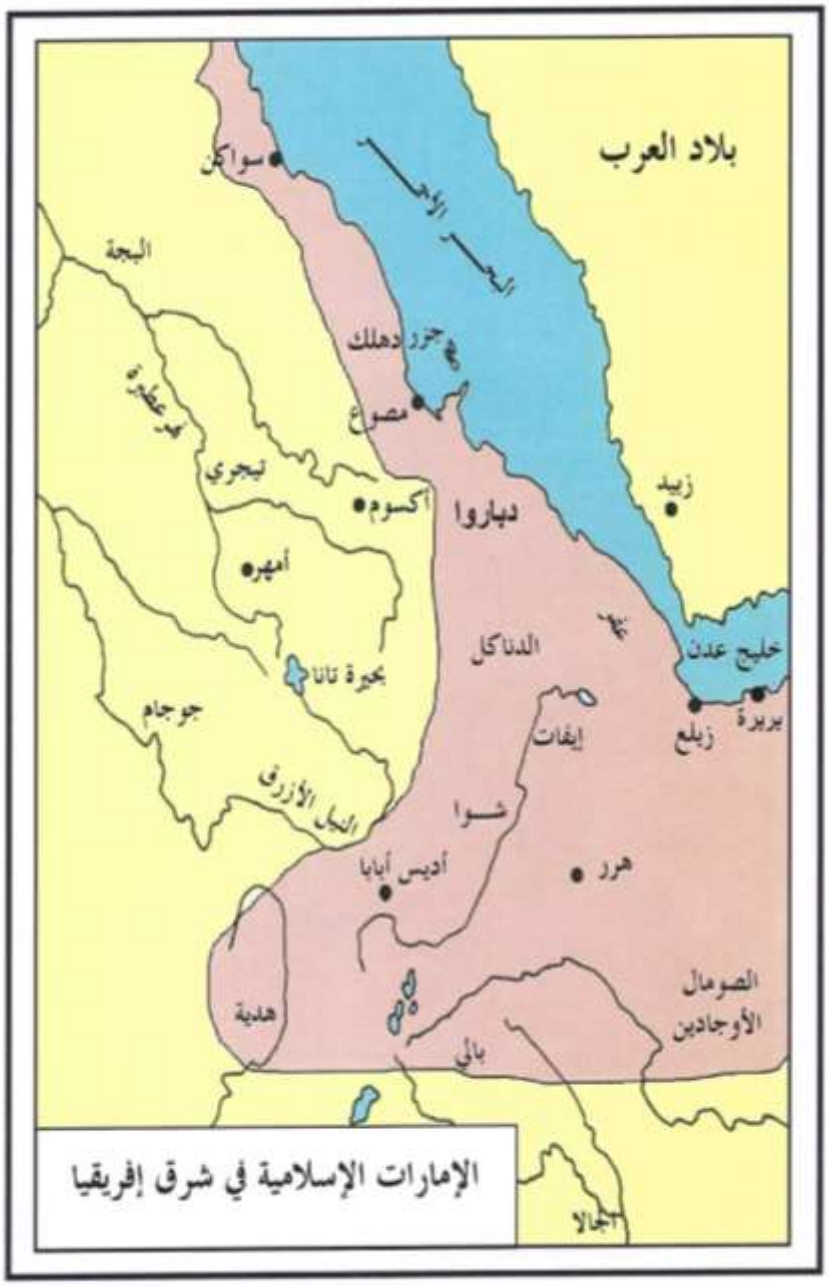

المصدر : غسان الرمال . مرجع سبق ذكره ، ص ٣٢٣ .

وتقع مملكة إيفات في الأقاليم الشرقية لشوا وما جاورها بعد أن ضمت مملكة شوا الإسلامية لحكمها في عام ٦٨٧هـ/١٢٨٥م، والمنحدرات المؤدية إلى أودية نهر الأواش، إلاَّ أن طموحها السياسي، كان أكبر من ذلك بكثير، فقد امتد سلطانها حتى شمل المناطق التي تقع حول ميناء زيلع، كما أن قبائل العفر (الدناكل)[٤] القاطنين حول بحيرة أوسة كانوا يدينون بنوع من الولاء لحكام إيفات[٥].

وقد كان لسيطرة إيفات على طرق التجارة الرئيسة؛ نظراً لموقعها المتميز على الحدود الشرقية لإقليم شوا المسيحي، أهمية اقتصادية وعسكرية كبيرة، حيث جعلها أكثر الممالك الإسلامية تميزاً وثراء(٦). بيد أن دور إيفات الرائد كحليف ونصير أساسي للمسلمين في صراعهم ضد الأثيوبيين المسيحيين، سرعان ما انتقل إلى مملكة عدل التي اتخذت منطقة هرر(٧) مركزاً رئيساً لها، أما مملكة هادية فقد سيطرت على جزء كبير من المناطق الواقعة بين نهري الأواش والجيبى، بينما اتسعت مملكة فتاجار لتشمل الأقاليم الواقعة بين جنوب شرق مرتفعات شوا وبين المنحنى الغربي لنهر الأواش. وتمركزت مملكة دوار في الجزء الجنوبي من شوا بين مملكة إيفات ونهر الأواش. أما مملكة بالي فقد كانت تقع جنوب دوار(٨). وقد مرت الطرق الرئيسة التي تربط أثيوبيا المسيحية بالعالم الخارجي، عبر هذه الأراضي التي سيطر عليها المسلمون، ولذلك أصبح سكان تلك الممالك الإسلامية بمثابة الوسيط التجاري الطبيعي والمنفذ الوحيد الذي لا غنى عنه لأثيوبيا المسيحية وعلاقاتها بالعالم الخارجي(٩).

وقد كانت علاقة الحبشة المسيحية بجاراتها من الممالك الإسلامية غير مستقرة، إذ أنه ولمدة طويلة من الزمن، كانت العلاقة متقلبة بين السلم والعداء بينهما، فلم يكن ملوك تلك الدول الإسلامية يتبعون سياسة واحدة للتعامل مع الحبشة المسيحية، فقد كانوا يدينون بالولاء لأباطرة الحبشة حيناً، ويستقلون عنهم ويحاربونهم حيناً آخر، ولم تكن الحبشة تخشى بأس تلك الممالك الإسلامية الضعيفة والمتناثرة في بادئ الأمر.

وكانت إمارة أوقات هي أقواها جميعاً. وقد شهدت القرون الثامن والتاسع والعاشر الهجرية/ الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر الميلادية سلسلة من المعارك بين مملكة الحبشة المسيحية ودول الطراز الإسلامي؛ بسبب التنافس للسيطرة على المراكز التجارية في داخل الحبشة وميناء زيلع على الساحل الصومالي، وقد استعان مسلمو الحبشة بدولة المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م) في مصر، ولكن بُعد المسافة ووعورة الطريق لم يتح لمصر أن تقدم أي مساعدة لهم، وفي المقابل استعان الأحباش المسيحين بالأوروبيين(١٠).

وخلال القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، تشبعت الحبشة بالأفكار الصليبية، التي خلقت لها أعداء من مسلمي دول الطراز الإسلامي، وواجه المسلمون في شرق إفريقيا كثيراً من اضطهادات ملوك الحبشة، واستطاع المسلمون الصمود قروناً طويلة أمام جبروت الأحباش المسيحيين، وبفضل إثارة روح الجهاد الإسلامي في سبيل الله ضدهم، انتصروا عليهم في فترات

كثيرة، وفي بداية القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي قام إمبراطور الحبشة إسحاق الأول (٨١٦-٨٣٢هـ/١٤١٤-١٤٢٩م) بشن هجوم شامل على مناطق المسلمين، وأنزل بهم هزائم كثيرة، وبالغ في اضطهادهم حتى وصلت أنباء ذلك إلى السلطان المملوكي برسباي[١١] (٨٢٥-٨٤١هـ/ ١٤٢٢-١٤٣٨م) في مصر، مما أثار حفيظته لما حل بالمسلمين، وأمر بحبس بطريرك القبط في مصر وهدده بالقتل لو حاول الاتصال بملك الحبشة إلاّ بإذن منه، كما أمر بإغلاق كنيسة القيامة؛ انتقاماً لما حدث للمسلمين على أيدي الأحباش[١٢]، واستمر خلفاء إسحاق في اتباع تلك السياسة مع المسلمين، حيث قام زرد يعقوب Zard Yeghub (٨٣٧-٨٧٢هـ/١٤٣٤-١٤٦٨م) بالتنكيل بالمسلمين أشد تنكيل، كما قام بعدة هجمات دامية على مملكتي إيفات وعدل، حتى أصبحت الممالك الإسلامية تدفع الجزية لإمبراطور الحبشة[١٣].

إلا أن هذا الأمر لم يدم طويلاً فبموت زرد يعقوب، لم تستمر الأمور على ما كانت في عهده، من سيطرة خلفائه على الممالك الإسلامية واستتباب الأمن، بل عادت الأمور إلى سابق عهدها من مناوشات واشتباكات وحروب، وسرعان ما أصبحت سيادة الإمبراطور على الممالك الإسلامية إسمية وشكلية لا تتعدى في أحسن أحوالها دفع الجزية السنوية، وكان من أسباب ذلك اتساع الرقعة الإسلامية وترامي أطرافها[١٤].

وقد تزعمت حركة الجهاد الإسلامي آنذاك مملكة عدل تحت قيادة الإمام محفوظ[١٥]، الذي كان يهدف إلى استعادة المدن على الحدود الشرقية للحبشة وهي: إيفات وفتاجاور ودوارو وبالي، وقد هاجمها الإمام محفوظ وأنزل بالأحباش هزائم كبيرة متتالية في عهد ملكي الحبشة إسكندر Eskender (٨٨٢-٨٩٩هـ/١٤٧٨-١٤٩٤م) وناعود Naod (٨٩٨-٩١٣هـ / ١٤٩٤-١٥٠٨م)، واغتيل ناعود وهو يدافع عن مقاطعة إيفات في مواجهة الإمام محفوظ[١٦].

ثانياً: وصول البرتغاليون إلى شرق إفريقيا:

عندما كانت أوروبا في العصور الوسطى متأخرة، كانت أسبانيا والبرتغال مزدهرة تحت الحكم العربي الإسلامي (٩٢-٨٩٧هـ/ ٧١١-١٤٩٢م)، وبعد نهاية الحكم العربي الإسلامي وحرب الاسترداد الصليبية وعملية الإبادة وإخراج العرب المسلمين منها، اندفعت إلى ما وراء حدودها بسرعة مذهلة لتعوض الماضي باحتلال شعوب آسيا وأفريقيا بصفة عامة والعرب والمسلمين بصفة خاصة.

وتقاسم البرتغاليون والأسبان شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا بتشجيع من بابا الفاتيكان الذي عدَّ ذلك عملاً مقدساً لحركة تنصير العالم بالقوة العسكرية، عندما أعلن تقسيم العالم بموجب معاهدة (توردیسلاس) في عام ٨٥٣هـ/١٤٤٩م التي وقعتها البرتغال وأسبانيا، بخط التقسيم الذي بدأ في المحيط الأطلسي غربي جزر الرأس الأخضر بمحاذاة خط الطول الغربي الخمسين درجة تقريباً، ومما جاء في المعاهدة أن جميع الممتلكات التي ستستعمر في غربي خط التقسيم، تكون من نصيب أسبانيا، وفي شرق الخط من نصيب البرتغال(١٧).

وصادق بابا الفاتيكان الكسندر السادس (بورجيا) Borgia على تلك المعاهدة التي أصبحت وثيقة رسمية بصك الفاتيكان لتنصير العالم وتحقيق الأهداف الاستعمارية، وكانت مصلحة الفاتيكان وسياستها ترمي إلى الاستمرار في الأوضاع الجديدة وبوجه جديد يتناسب السياسة التنصيرية والصليبية القديمة التي انتهجتها الكنيسة الكاثوليكية، للقضاء على الإسلام وهي امتداد لسياسة الحملات الصليبية على بلاد الشام ومصر والمغرب العربي(١٨).

واتفقت أهداف السياسة البرتغالية والأسبانية على تطويق العالم الإسلامي، وتوزعت أدوارها، فبينما توجهت البرتغال جنوباً حول إفريقيا ومنها إلى الشرق، توجه الأسبان إلى أمريكا والفلبين واتفقت سياستهما في السير باتجاه معين دون تعارض أو تصادم. وكانت أهداف السياسة البرتغالية أهدافاً صليبية ثم أهدافاً استعمارية لنهب الموارد التجارية والسيطرة الكاملة بإخضاع تلك الشعوب للاحتلال الأوروبي سياسياً، ثم نشر المسيحية وإرسال البعثات التنصيرية للوصول إلى الهدف النهائي بتدمير الإسلام والمسلمين(١٩)، تصديقاً لقوله تعالى:﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ﴾(٢٠)، هذا إلى جانب دافع الثأر والانتقام من العرب المسلمين الذين حاربوهم وأخرجوهم من الجزء الجنوبي الغربي لشبه جزيرة إيبريا المعروفة اليوم بـ (البرتغال)، والتي كانت بلاداً عربية، وبعد إخراجهم للعرب تحول هذا الشعور الديني وحب الانتقام إلى الكسب المادي والاحتكار التجاري والتسلط الاستعماري(٢١)، أما الأهداف التي يرددها الأوربيون لإخفاء حقائقهم الصليبية والاقتصادية والسياسة مدعين الكشوف الجغرافية فما هي إلاَّ أقنعة زائفة لتدمير العالم الإسلامي وإخضاعه واحتلاله ونشر النصرانية، أما اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح أو الكشوف الجغرافية الأخرى، فلم تكن إلاَّ خطوات أولى لتحقيق أهداف استعمارية، حيث اتخذ الغرب المسيحي الكشوف الجغرافية وسيلة لتحقيق مطامعه الاستعمارية الصليبية عن طريق تطويق العالم الإسلامي من الشرق ومن الغرب ومن الجنوب.

وفي أواخر القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي بدأت رحلات البرتغاليين تصل إلى شرق إفريقيا بعد عبورهم رأس الرجاء الصالح في عام ٩٠٣هـ/١٤٩٧م، ووصل فاسكو دي جاما Vasco de Gama إلى الساحل الشرقي لإفريقيا، وكانت سفنه تحمل الصليب، كما كان دائم السؤال عن ملك الحبشة، ولما وصل إلى سفالة بدأ يلمس حضارة إسلامية، وفي ميناء موزمبيق وجد أربعة سفن عربية محملة بالذهب والفضة والجواهر والعقيق، وحينها عرف أن بلاد برسترجون Prester–John [٢٢] التي يبحث عنها في الداخل ويمكن الوصول إليها على ظهر الجمال، وزار سلطان موزمبيق ومعه مجموعة من الهدايا، فرفض السلطان قبول هداياهم، وعندما تأكد سكانها من أنهم مسيحيون اشتد احتقارهم لهم، فعاملهم فاسكودي جاما بمنتهى القسوة والوحشية[٢٣].

وفي سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م أجبر البرتغاليون سكان جزر زنجبار وبمبا ومافيا على دفع الجزية، وفي سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م استولى دالميدا Dalmeida – أول نائب للملك البرتغالي في الهند– على سفاله وكلوه وممباسا وأنشؤوا في ممباسا قلعة عسكرية ضخمة عرفت باسم (قلعة يسوع أو المسيح)، وفي سنة ٩١٢هـ/١٥٠٦م، دمر كل من كرستان دي كونها Kuristan de Cunha، والفونسو دي البوكيرك AlFonso de AlBuquerqae، الموانئ الشمالية، وهي: لامونداجا وبراوا وأجبروا سكانها على الخضوع للبرتغاليين[٢٤].

ثالثاً: اتصال البرتغاليين بمملكة الحبشة المسيحية:

ارتبطت مشروعات البرتغاليين الصليبية بمملكة الحبشة المسيحية في تلك المدة ارتباطاً وثيقاً، وكانت دوافع البرتغاليين في إقامة علاقات واتصالات بالحبشة في السيطرة على تجارة الشرق واحتكارها ومنع وصولها إلى بلاد المسلمين، ثم التوغل داخل القارة الإفريقية وتحويل طرق التجارة عبر البحر الأحمر وطريق القوافل إلى الطريق البحري حول إفريقيا وإلى موانئ المحيط الأطلسي، وجاء هذا النشاط مصحوباً بالرغبة في الانتقام من المسلمين وإحياء الروح الصليبية[٢٥]، ومن أهم الدوافع الأخرى التي دعت البرتغاليين إلى التعاون والاتصال مع الأحباش هو محاولتهم لنشر المذهب الكاثوليكي هناك وتحويل العناصر الوثنية في الشرق إلى المسيحية، هذا إلى جانب مخططهم الحقيقي وهو محاربة المسلمين في منطقة القرن الإفريقي (دول الطراز الإسلامي السبع) ثم الوصول إلى سواحل البحر الأحمر الشرقية وخاصة ثغر جدة الذي يقودهم إلى مقدسات المسلمين في الحجاز ليتمكنوا من تدميرها[٢٦]، وبذلك كان اتصال البرتغاليين بملوك الحبشة ما هو

إلا تطويق للعالم الإسلامي من الشرق والغرب والجنوب، ومن ناحية أخرى توفير مراكز بحرية للبرتغاليين داخل البحر الأحمر لمهاجمة الحجاز ومصر واليمن(٢٧).

وبدأ تاريخ العلاقات الحبشية البرتغالية منذ أن أرسل الملك يوحنا الثاني JohnII (٨٨٦-٩٠١هـ/١٤٨١-١٤٩٥م) في سنة ٨٩٢هـ/١٤٨٧م كلاً من الجاسوسيين اليهوديين كوفلهام Covillham، ودي بايغا De Pyva؛ للبحث عن مملكة القديس يوحنا والتعرف على مناطق انتاج التوابل، فكانت رحلتهما بداية لسلسلة من الرحلات والبعثات البرتغالية لملك الحبشة من أجل التعاون معه؛ لضرب المسلمين من ناحية واستقطاب ملك الحبشة للمذهب الكاثوليكي بدلاً من المذهب الأرثوذكسي من ناحية أخرى(٢٨)، وفي عهد الملك ناعود زاد اتصال البرتغاليين بالحبشة، وكثرت البعثات إليها(٢٩).

وفي عام ٩١٤هـ/١٥٠٨م تولى عرش الحبشة الملك الطفل لبنادنجل Lebna Dange (٩١٤-٩٤٧هـ/١٥٠٨-١٥٤٠م) وكانت الوصية عليه والدته الملك هيلانة Heleni التي بذلت كل جهودها لتحقيق غايتها في قيام تحالف صليبي بين الحبشة والبرتغال ضد إمارات الطراز الإسلامي، فأرسلت بعثة إلى ملك البرتغال دون مانويل Don Manwell (٩٠١-٩٢٨هـ/١٤٩٥-١٥٢١م) على يد مبعوثها ماثيو Mathieu، الذي ذهب في أول الأمر إلى البوكيرك – نائب الملك البرتغالي في الهند – وقدم عرض الملكة هيلانة ورغبتها في قيام تحالف مشترك بين الحبشة والبرتغال للسيطرة على الحجاز ومصر، كما عرض مطالبها القائمة على تزويدها بأسطول قوي يكون على أهبة الاستعداد للعمل ضد القوى الإسلامية في البحر الأحمر. وبعد إتمام ماثيو مهمته في الهند أرسله البوكيرك إلى لشبونة لتقديم رسالة الملك هيلانة إلى ملك البرتغال دون مانويل، وقد حوت تلك الرسالة شكوى الملكة من الأخطار التي تهددها من جانب مصر ودويلات الطراز الإسلامي(٣٠).

كما أشارت إلى أن كريستان دي نورنها Christain de Noronhad –أحد ضباط الملك في الهند– أرسل رسولين إلى الملكة هيلانة يطلب منها أن تمده بالطعام والرجال لتساعده في نضاله، وأنها في قضية كهذه لن تتوانى في مد يد العون، وأضافت الملكة أنه قد وصل – إلى مسامعها أن السلطان قانصوه الغوري(٣١) (٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠٠-١٥١٦م) جمع جيشاً كبيراً ليهاجم به البرتغاليين في الهند، وأن لديها الرغبة في إرسال جنودها ليقدموا المساعدة عند مضيق باب المندب, وأوضحت أيضاً داخل الرسالة إلى أن الجيوش البرتغالية إذا اتحدت مع الجيوش

الحبشية كونا قوة كافية لصد القوات الإسلامية، وأنها بحاجة لقوات بحرية؛ نظراً لأن قواتها برية فقط[٣٢]. وبذلك كان تطلع الحبشة من جانبها إلى مساعدة دولة مسيحية أوروبية لتعينها في حروبها ضد الدويلات الإسلامية المجاورة لها وأهمها مملكتي عدل وإيفات، وكانت الحروب بين هاتين المملكتين وبين الحبشة مستمرة طوال القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وكان الانتصار في أغلب الأحيان حليف المسلمين.

وأثارت زيارة ماثيو إلى البرتغال فرحاً كبيراً في نفوس البرتغاليين؛ إذ تحقق حلمهم في رؤية مبعوث خاص عن القديس يوحنا Prester John، وكان الرأي العام البرتغالي يأمل في تحويل الحبشة المسيحية إلى المذهب الكاثوليكي والتعاون مع الأحباش لتحقيق أهدافهم وأطماعهم الصليبية والاقتصادية في البحر الأحمر والمحيط الهندي. ووافق المجلس الأعلى البرتغالي على مساعدة الحبشة وقدم لها معونة عسكرية لمقاومة المسلمين، واستطاع البرتغاليين تجميع بعض المعلومات عن الحبشة ومدى صلاحية الطرق المؤدية لها وأفضلها وأقصرها، إضافة إلى معلومات حول عقيدة الأحباش الأرثوذكسية وأحوال الحبشة الاقتصادية، وقد حصلوا عليها من ماثيو رئيس البعثة الحبشية[٣٣].

ولم يكن أمل البرتغاليين في تحويل الأحباش إلى المذهب الكاثوليكي فحسب، بل عملت الملكة هيلانة على سلخ بلدها عن كنيسة مصر وربطها مباشرة بكنيسة روما كجزء من الاتجاه العام في ربط مصير الحبشة بالمسيحية الأوروبية[٣٤].

وتأخرت بعثة ماثيو في العودة إلى الحبشة، وفي أثناء تلك المدة، قام الملك لبنادنجل في سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م بالسيطرة على جزء من إمارة هرر بعد الانتصار على أميرها الإمام محفوظ، وأجبر سكانها على دفع الجزية[٣٥]، وفي تلك الأثناء عاد ماثيو إلى الحبشة ومعه وفد برتغالي يرأسه دي كالفان De Calvan، وكان رجل في سن الثمانين من عمره وقد مات في الطريق قبل أن يصل إلى الحبشة، فحل محله رود ريجو دي ليما Rodrigo de lima، ووصل ماثيو إلى مصوع في عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م، ولكنه لم يستطع الوصول إلى الحبشة، فاضطر البرتغاليون ومعهم ماثيو إلى الرحيل إلى الهند، وظل ماثيو ينتظر الفرصة التي تمكنه من دخول الحبشة ولكنه لقي حتفه في عام ٩٢٧هـ/١٥٢٠م، فأمر نائب الملك في الهند لوبز دي سكويرا Lopez de Sequeyra رود ريجودي ليما بإيصال رسالة الملك إلى الملكة هيلانة[٣٦]، والتي تقضي بإقامة علاقات ودية مع الأحباش، والاعتذار عن تأخر وصول الوفد البرتغالي، وعن تأخر ماثيو مبعوث

الحبشة، كما حملت البعثة معها كمية من البنادق، لمساعدة الأحباش، إضافة إلى اقتراح بأن تقوم الحبشة بمساعدة البرتغال في الهجوم على المسلمين ومعاونتهم في بناء قلعة في جزيرة كمران أو في مصوع لمهاجمة السفن الإسلامية في البحر الأحمر، هذا فضلاً عن جمع المعلومات عن الحبشة وملكها وجيشها وكنائسها وتجارتها، إلى جانب دراسة طرق الحبشة ومسالكها وأحوال سكانها وجيرانهم ودعوة الملكة هيلانة والبطريرك وكبار رجال الدولة لزيارة البرتغال(٣٧).

وفي بلاط الملك لبنا دنجل بدأت المفاوضات بينه وبين مبعوث البرتغال دي ليما، وأفصح ملك الحبشة عن مساعيه في التحالف مع البرتغال، وعن رغبته في أن يسارع ملك البرتغال في بناء قلاع في مصوع وسواكن وزيلع ضد تقدم العثمانيين، وأوضح أن احتلال البرتغاليين لزيلع بوصفها ميناءً مهماً، سيكون له فائدة كبيرة في تموين الأساطيل البرتغالية، فضلاً عن أنها تمون الساحل الشرقي للبحر الأحمر من عدن حتى جدة ثم مكة المكرمة، وإن بناء تلك القلاع ستكون ضربة قوية للدولة العثمانية وزعزعة نفوذها في المنطقة(٣٨).

ولكن على الرغم من إلتقاء أفكار كل من الملك البرتغالي والحبشي، إلا أن كل واحد منهم شك في قدرة الآخر، فملك الحبشة شك في قدرة البرتغاليين على إقامة تلك القلاع، والبرتغاليون لم يقنعوا بقدرة ملك الحبشة في أن يوصلهم إلى الساحل ويمون أساطيلهم؛ بسبب حصار المسلمين للحبشة، فدعا ذلك إلى أن كتب الملك لبنادنجل إلى ملك فرنسا ليقوم بإنشاء قلعة في زيلع، وإلى ملك البرتغال لينشئ قلعة في مصوع، وإلى ملك أسبانيا لينشئ قلعة في سواكن قائلاً: إن اتحاد ثلاثتهم سوف يمكنهم من صد العثمانيين(٣٩).

وكان غاية ملك الحبشة أن يجعل المسألة مشكلة دولية، أو إثارة حرب صليبية في البحر الأحمر، ولذلك أرسل إلى البابا في عام ٩٣٠هـ/١٥٢٤م لكي يباركه في عمله هذا، كما أرسل رسالة إلى نائب الملك في الهند أبدى فيها تمنياته في أن يرى قلعة برتغالية وكنيسة في كل من مصوع ودهلك وزيلع ودعاه للاتحاد في سبيل قتال المسلمين، وأعقب ذلك أن أرسل الملك سفيرًا له في عام ٩٣٢هـ/١٥٢٦م يدعى زاجازابو Zagazabo إلى كل من ملك البرتغال والبابا بهدف تحقيق محالفة البرتغال وإشعال حرب صليبية في البحر الأحمر(٤٠)، مما يدل على شدة تخوف ملك الحبشة من القوى العثمانية، وبمدى ضغط العثمانيين على السواحل الحبشية.

وفي عهد الملك جلاديوس Galawdewos (٩٤٧-٩٦٦هـ/١٥٤٠-١٥٥٨م) زاد التحالف والتعاون بين الطرفين؛ لضرب حركة الجهاد الإسلامية التي تزعمها الإمام أحمد القرين(٤١) (٩٢٢-

٩٥٠هـ/ ١٥٠٦-١٥٤٣م) حيث أبحرت حملة برتغالية بقيادة كريستوفر دي جاما Chritopher de Gama وصلت إلى الحبشة في عام ٩٤٩هـ/١٠٤٢م، بالإمدادات البرتغالية من الأسلحة النارية والمدفعية الحديثة، وتعاونت مع ملك الحبشة جلاديوس، الذي استطاع بفضل هذه الإمدادات البرتغالية إنزال الهزيمة بحاكم هرر أحمد القرين، وقتله واسترجاع قواعدهم العسكرية التي استولوا عليها سابقاً، وفي العقد السادس من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، جدت أمور أدت إلى تغير العلاقة بين الأحباش والبرتغاليين، وذلك عندما عزم البرتغاليين على تكثيف نشاطهم البحري في البحر الأحمر بهدف إنزال البعثات الكاثوليكية على أرض الحبشة وتحويلها من المذهب الأرثوذكسي إلى المذهب الكاثوليكي، ولذلك سعت البابوية جادة إلى إعطاء المجال لجمعيات الجزويت؛ لتعيين أحد رجال الدين في روما أسقفاً على الحبشة، ولذلك توالت البعثات الكاثوليكية على أرض الحبشة، إلاَّ أنها فشلت؛ بسبب اعتراض السفن العثمانية لها في البحر الأحمر[٤٢].

وفي عهد الملك ميناس Minas (٩٦٧-٩٧٨هـ/١٥٥٩-١٥٧٠م) مُنيت الحبشة بانقسام ديني خطير وبحروب أهلية، وغرقت البلاد في مناقشات دينية عظيمة أيد فيها البعض الكنيسة الغربية وأيد البعض الآخر كنيسة الإسكندرية، وانضم الملك إلى الفريق الثاني وطلب من المنصرين البرتغاليين مغادرة البلاد ومنعهم من نشر عقيدتهم أو الظهور في الكنائس، وحرم عليهم الزواج من الحبشيات، وأعلن إسحاق حاكم دباروا[٤٣] Dabarwa العصيان وحارب جيش الملك وأعلن تأييده للكنيسة في روما وانضم إليه البرتغاليون المطرودون من الحبشة، وتقرب من العثمانيين بقيادة أوزدمير باشا[٤٤] (٩٥٦-٩٦٢هـ/١٥٤٩-١٥٥٤م) وعقد تحالفًا معهم ووضع نفسه والجزء الذي يحكمه من الحبشة تحت سيادة العثمانيين، وفي وسط هذا النزاع تمكن العثمانيون من توسيع نفوذهم في المنطقة[٤٥].

وفي عهد سارسا دنجل Sarsa Dengal (٩٧٨-١٠٠٦هـ/١٥٧٠-١٥٩٧م)خفت حدة العلاقات بين الحبشة والبرتغال وظهرت منازعات الطامعين في العرش، واستغل العثمانيون هذا الخلاف وناصروا فريق على آخر، وتمكنوا بذلك من توسيع مناطق نفوذهم، وكان النصر في جانب الفريق الذي يؤيده العثمانيون، لأنهم كانوا يمدونه بالأسلحة النارية والمدافع، مما حدا بالملك إلى الاستنجاد بالملك فيليب الثاني PhilipII (٩٦٤-١٠٠٧هـ/١٥٥٦-١٥٩٨م) ليرسل إليه من يجيدون استعمال البنادق والمدافع، كما أرسل إلى البابا يطلب منه التبريك وإرسال البعثات، فكأنه

بذلك قلب سياسة سلفه رأساً على عقب، وأخذ الجزويت ينزحون من جديد إلى الحبشة، وأُنشئت الأديرة التي كانت تعلم المذهب الكاثوليكي، وكان لقسيس إسباني يُدعى بايز Paez دور كبير في ذلك، وذاعت تعاليمه، وأُصيبت سياسة الملك ميناس بنكسة قوية(٤٦).

وفي ضوء تلك الأحداث خفت حدة العلاقات بين الحبشة وبين البرتغال، وكانت بعثة مليثور دي سيلفيا Milchior de Syliva في سنة ١٠٠٤هـ/١٥٩٥م آخر محاولة من البرتغاليين للدخول في البحر الأحمر، والوصول إلى أرض الحبشة، حتى خرجوا منها نهائياً في سنة ١٠٣٢هـ/ ١٦٢٢م بعد هزيمتهم على يد التحالف الصفوي الإنجليزي في الخليج العربي، ودخول دول أوروبية أخرى منافسة (هولندا وإنجلترا وفرنسا) (٤٧).

رابعاً: سياسة الدولة العثمانية تجاه الوجود البرتغالي في شرق إفريقيا وساحل الصومال:

(١) دوافع العثمانيون لمد نفوذهم على الساحل الغربي للبحر الأحمر:

مع دخول مصر ثم الحجاز تحت السيادة العثمانية في سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م، حمل العثمانيون عبء الدفاع عن البحر الأحمر والأماكن المقدسة في الحجاز، لينالوا بذلك شرف حماية الحرمين الشريفين حتى تكون لهم الزعامة الدينية على العالم الإسلامي، ومن ثم ظهرت الدولة العثمانية ولأول مرة بصفتها قوة سياسية كبرى في منطقة البحر الأحمر.

وبعد أن نجح العثمانيون في السيطرة على مدخل البحر الأحمر بالاستيلاء على عدن في سنة ٩٤٥هـ/١٥٣٨م(٤٨) واتخاذها قاعدة عسكرية أمامية للدفاع عن أمن الحرمين الشريفين، صمموا على بسط سيطرتهم ونفوذهم على الساحل الشرقي الإفريقي، والوقوف بشدة وضراوة ضد كل من الحبشة والبرتغال وأطماعهم في البحر الأحمر، حيث رأت الدولة العثمانية أن السيطرة على السواحل الشرقية لإفريقيا، وإقامة قواعد عسكرية عثمانية بها هدف أساسي من أهداف سياستها في البحر الأحمر لعدة أسباب منها:

(١)- وقف الخطر البرتغالي في البحر الأحمر، وإفساد مخططاتهم الصليبية التي تهدف إلى تطويق العالم الإسلامي من الغرب والشرق والجنوب، ومن ثم توفير مراكز بحرية لهم داخل البحر الأحمر، لتقوية مركزهم سياسياً واقتصادياً، وإضعاف المسلمين بتحويل التجارة الشرقية إلى طريق رأس الرجاء الصالح وكسر احتكارهم للتجارة الشرقية من جهة، والوصول إلى الأماكن المقدسة في الحجاز، ومهاجمة مصر واليمن؛ لإغلاق البحر الأحمر في وجه تلك القوات العثمانية من ميناء الطور شمالاً إلى مضيق باب المندب جنوباً، والتحرك في تلك المناطق بحرية تامة دون منافس من جهة أخرى.

(٢)- إحكام السيطرة العثمانية على البحر الأحمر من الشرق والغرب والجنوب، ومن ثم تحويله إلى بحيرة إسلامية خالصة. فضلاً عن ذلك، فإن البحار الشرقية كانت تشكل منطقة استراتيجية مهمة بالنسبة للعثمانيين لكونها منطقة متصلة بحدود دولتها في الجنوب، وبناء على ذلك حرص العثمانيون على التحكم في البحر الأحمر والخليج العربي، وذلك لكونهما أفضل موطن صالح للوثوب على البحرية العثمانية في تلك البحار، وتطويق أعدائهم الصفويين في بلاد فارس (إيران) من الجنوب، خاصة بعد تحالفهم مع البرتغاليين؛ لتحطيم الأساطيل العثمانية في السواحل العربية[٤٩].

(٣) -قطع أي محاولة للاتصال بين الحبشة والبرتغال، وتحطيم أي أمل لتكوين حلف مسيحي ضد مسلمي شرق إفريقيا.

(٤) -مساندة القوى الإسلامية في شرق إفريقيا في جهادها الإسلامي ضد مملكة الحبشة المسيحية والبرتغاليين، حيث تطلعت هذه القوى إلى الدولة العثمانية بوصفها قوة إسلامية كبرى في منطقة البحر الأحمر؛ ولذلك وجدت الدولة العثمانية أن تحالفها مع هذه القوى الإسلامية قاعدة رئيسة؛ لحماية مصالح العالم الإسلامي والمقدسات الدينية من الغزو البرتغالي، كما أنها فرصة لانطلاق القوات العثمانية نحو المحيط الهندي، والخليج العربي بعد الاطمئنان على قواعدها العسكرية داخل البحر الأحمر وعلى سواحله الشرقية والغربية.

(٢) مساندة مسلمي إمارة هرر الإسلامية في شرق إفريقيا ضد كل من مملكة الحبشة المسيحية وحليفتها البرتغال:

قام العثمانيون بدور إيجابي في نصرة إخوانهم مسلمي إمارة هرر الإسلامية والقوى الإسلامية في شرق إفريقيا، حيث أدوا دوراً بارزاً في إضعاف الوجود البرتغالي في شرق إفريقيا، وكان ظهورها في البحر الأحمر عوناً معنوياً للمسلمين للقيام بالثورات ضد البرتغاليين وحليفتهم الحبشة.

وبحلول القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، أخذت الممالك الإسلامية النامية تنافس الأحباش في عقر دارهم في الهضبة المحيطة بهم، وتضيق عليهم الخناق بحكم توسعهم الجارف الذي استمر على حدته وضراوته حتى القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، وقد قاوم ملوك الحبشة هذا التوسع بكل قوة وشراسة، لكون الحبشة أكبر دولة مسيحية في منطقة القرن الإفريقي، وما ثم كان عليها أن تساهم مساهمة فعالة في ضرب الجبهة الإسلامية من الخلف، ولا يمكن أن يتهيأ لها ذلك إلا بالتخلص من المقاومة الإسلامية في بلاد الزيلع، والقضاء على الوجود الإسلامي حول بلاد الحبشة وفي داخلها[٥٠]، ولذا استحكم دفاع الأحباش وازدادوا ثباتاً، وخاصة عندما ارتقى العرش الملك زرد يعقوب، ففي عهده توقف الزحف الإسلامي في المرتفعات، كما تمكنت القوات الحبشية من استرجاع أجزاء كثيرة كان المسلمون قد أخضعوها لسلطانهم، واستعادت الحبشة قسطاً وافراً من هيبتها ونفوذها، وبدأت باكتساح

الممالك الإسلامية التي بدأت تهدد الهضبة، وسعى الملك زرد يعقوب لتوحيد صفوف الأحباش في مختلف الأقاليم وكان النجاح حليفه[٥١].

واحتدم الصراع بين هرر والحبشة، واستطاع الإمام محفوظ أمير هرر، أن يوجه ضاربة قاسية للحبشة، وتغلب عليها وأحرق كنائسها وديرتها وقتل رجالها، واشترك في المؤامرة التي انتهت باعتقال الإمبراطور إسكندر الذي كان حاكماً للحبشة في تلك المدة[٥٢].

ونجح ملك الحبشة ناعود في هزيمة أمير هرر محفوظ، وقتله مع عدد كبير من أتباعه في سنة ٩١٢هـ/١٥٠٦م، كما ضيق الخناق على عدد كبير من الدويلات الإسلامية المحيطة بهضبة الحبشة المعروفة باسم (ممالك للطراز الإسلامي) [٥٣].

وفي عهد الأمير أحمد بن إبراهيم القرين، تغيرت موازين القوى في المنطقة، فسرعان ما أعلن رفضه لدفع الجزية لملك الحبشة، وعندئذ أصبح قيام الحرب بينهما أمراً لا مفر منه، وعندما تحركت الحبشة واجتاحت سلطنة عدل، تصدى لها الأمير أحمد وهزمها شر هزيمة، كما رأى الأمير أن يبدأ بوضع حد لحركات الأمراء الصوماليين ويوطد أركان حكمه في الصومال ليحمي ظهره، فدعا القبائل والإمارات المختلفة للانضمام تحت لوائه لمواجهة خطر الأحباش، فانضمت إليه قبائل الصومال في الشرق والعفار والدناكل في الغرب، ونجح في تنظيم صفوفهم في مهارة فائقة، وجعل منهم قوة ضاربة منيعة خاضت معه مراحل جهاده ضد الحبشة المسيحية[٥٤].

وبحلول الربع الأول من القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي لم يتبق للأحباش سوى المرتفعات من بلادهم، إلاَّ أنه بحلول سنة ٩٣٥هـ/١٥٢٨م أصبحت حتى المرتفعات مهددة بالغزو تحت الضغط العسكري الشامل لمملكة عدل – ايفات– التي أعدت العدة لحرب حاسمة[٥٥]، وعمل الأمير أحمد على تكتيل النفوذ الإسلامي اللازم لحرب الأحباش، وسار من هرر وبلاد عدل إلى بقية الأقاليم الحبشية، وعمل على توحيد قوات المجاهدين في الصومال وفي الحبشة نفسها[٥٦].

وسجلت السنوات بداية من سنة ٩٣٥هـ/١٥٢٨م أكبر عملية غزو تشهدها الحبشة، حيث اشتبك الأمير أحمد بن إبراهيم القرين وقواته مع الأحباش في موقعة "شامبا كوري ((Shamba cory))، تمكن فيها من هزيمة الأحباش، وتحرير معظم الإمارات الإسلامية من سيطرتهم، واندفعت بعدها جحافل الصوماليين مخترقة هضبتها بعد أن كان الأحباش هم الذين يباشرون الهجوم عليها، وبدأ الأمير أحمد القرين حركته بضم الولايات الشرقية[٥٧]، ولكنه كان قلقاً من قبائل الجالا[٥٨] البدو الذين كانوا يشكلون جانبًا مهماً من قوته؛ لما يتصفون به من خصال يصعب ترويضها، فبالرغم مما بذله معهم من مجهودات، فضل كثير منهم العودة إلى مواطنهم حاملين معهم ما غنموه من أسلاب، لذلك أخذ في تكوين جيشه من جديد معتمداً على العناصر التي تدين له شخصياً بالولاء، واستغرق ذلك منه عامين، وبعد ذلك توالت انتصارات الأمير

أحمد فاستولى في سنة ٩٣٨هـ/١٥٣١م على دوارو وشوا، ثم أمهرة ولاستا في سنة ٩٤٠هـ/١٥٣٣م، وفي طريقه استولى على السلطنات الإسلامية بالي وهادية وسيداما وجوراجي[٥٩].

ولقد اتسمت غزوات الأمير أحمد بالسرعة والمفاجأة والحماس والشدة، وما أن جاءت سنة ٩٤٢هـ/ ١٥٣٠م إلاَّ وكان الأمير أحمد قد سيطر على وسط الحبشة وجنوبها، وبدأ في غزو مقاطعة تيجرى التي دانت له بالرغم مما بذلته من مقاومة عنيفة، وامتدت سلطته إلى البحر الأحمر من الشرق حتى مدينة كسلا من الغرب، وهناك اتصل بالمقاطعات الإسلامية التي كانت آنذاك بشرق السودان[٦٠].

وبعد أن أتم الأمير أحمد غزو جوجام حتى بحيرة تانا ثم منها إلى حدود السودان، حاول الإمبراطور لبنادنجل جع شتات جيوشه المنهارة وهاجم القوات الإسلامية، فهزمه الأمير هزيمة منكرة وتقدمت جيوش الإمام واستولت على أكسوم، وحرقتها، ثم احتلت شمال الهضبة ثم انحدرت إلى إقليم يجمدير، وبعد أن اجتاحت جيوش الإمام جميع أرجاء الهضبة عاد إلى عاصمته هرر، وأصبحت الحبشة كلها من ممالك إسلامية ومسيحية تحت إمرة الأمير أحمد، واخذت المسيحية في الانهيار تحت ضغط انتصارات المسلمين المتوالية[٦١]، وفي سنة ٩٤٧هـ/١٥٣٨م استطاع الأمير أحمد الاستيلاء على إقليم شوا، وأن يدفع بالملك لبنادنجل أمامه حتى حدود سنار، حيث وقعت معركة حامية على ضفاف النيل قُتل فيها أعداد كبيرة من الأحباش، اضطر بعدها لبنادنجل إلى الفرار مرة أخرى معتصماً بداخل الهضبة الحبشية التي هاجمها الأمير أحمد من جميع الجهات، حيث أخذت أعداداً وفيرة من الأجناس في اعتناق الإسلام، وانتهت آخر مظاهر المقاومة في أقصى الشمال بين أعوام ٩٤٥-٩٤٧هـ/١٥٣٨-١٥٤٠م، وعندما بلغ الإمبراطور لبنادنجل أقصى حالات اليأس والإجهاد والمرض توفي قبل أن تصله الحملة البرتغالية التي طلب مساندتها[٦٢].

وفي الوقت الذي كان فيه الأمير أحمد مشغولاً بجهاده ضد الحبشة المسيحية، وسع العثمانيون نفوذهم في جنوب البحر الأحمر بالاستيلاء على عدن واتخاذها قاعدة عسكرية لهم لتوجيه ضرباتهم العسكرية ضد البرتغاليين، وأعقبوا ذلك بالاستيلاء على سواكن على الساحل الغربي للبحر الأحمر وأقاموا بها حامية عسكرية، كما استولوا على زيلع وأقاموا بها جمركاً وأسطولاً مكوناً من قطع صغيرة سريعة، واستطاعوا أن يصلوا ومعهم الأسلحة النارية المختلفة إلى موانئ البحر الأحمر، ووجدوا في مملكة عدل مجتمعًا إسلاميًا مترابطًا يستطيع استخدام هذه الأسلحة ضد الأحباش المسيحيين[٦٣].

وجاء استيلاء العثمانيين على هذه المناطق في الساحل الأفريقي مصدر قلق وخطورة على الإمارات الإسلامية والأحباش على السواء في الحبشة، فقد عرفت القوتان المتناحرتان أن الغزاة الجدد يتسلحون بأسلحة نارية ومدافع لا تستطيع إحداهما مقاومتهم، غير أن مسلمي هرر وشرق إفريقيا وجدوا عاملاً مهماً للارتباط مع الفاتحين الجدد وهو عامل الاتفاق في الدين، فضلاً عن ترحيب العثمانيين بهذا

الارتباط الديني بجانب الأهداف التجارية، وكان لدى مسلمي الحبشة معلومات وافية عنها، أما الحبشة فكان الأمر مختلفًا بالنسبة لها فهي مسيحية وليس هناك أدنى احتمال في إمكانية عداء العثمانيين للمسلمين هناك، كما أن أسلحتهم لم تزل حتى ذلك الوقت هي القوس والنشاب والسيف والاعتماد على الشجاعة والقوة، وهذه لا تجدي فتيلاً أمام الأسلحة الحديثة للعثمانيين آنذاك، فكان لا بد من عون خارجي يتفق في التسليح والنظام مع العدو الأقوى، كما يتفق مع الأحباش في العقيدة(٦٤).

وتطلع العثمانيون إلى الحبشة، وأرادوا السيطرة عليها فاتصلوا بمسلمي الولايات الشرقية في الحبشة، وأمدوهم بالمال والرجال والذخيرة وخصوصاً المدافع والبنادق(٦٥).

وأمام ظهور الدولة العثمانية بصفتها قوة إسلامية كبرى في منطقة البحر الأحمر من ناحية، والجهاد الإسلامي الواسع في شرق إفريقيا، أسرع البرتغاليون لمساندة الحبشة المسيحية؛ لوقف نشاط إمارة هرر والقضاء على زعيمها، إذ أدرك البرتغاليون أن نجاح حركة الجهاد الإسلامي في شرق إفريقيا وتحويل الحبشة إلى مملكة إسلامية سوف يجعل هذا بدوره من البحر الأحمر بحيرة إسلامية خالصة؛ وهذا يعين العثمانيين من تشديد قبضتهم على سواحله الغربية، ومن ثم اعتراض السفن البرتغالية والقضاء على قواعدهم البحرية والتجارية التي اتخذوها في سواحل شرق إفريقيا محطات؛ لتموين السفن البرتغالية القادمة من لشبونة في اتجاهها للهند؛ ولذلك عززوا من تحالفهم مع الحبشة المسيحية على الرغم من نشاط الدوريات العثمانية في البحر الأحمر، واعتراضها للسفن البرتغالية وتحطيمها؛ فأسرع البرتغاليون بإرسال معونتهم للحبشة، خاصة بعد نجاح حملة سليمان باشا(٦٦) (٩٣١-٩٤١هـ/١٥٢٤-١٥٣٤م) – (٩٤٣-٩٤٥هـ/ ١٥٣٦-١٥٣٨م) على اليمن في سنة ٩٤٥هـ/١٥٣٨م، فأرسلت أسطولاً برتغالياً في سنة ٩٤٨هـ/ ١٥٤١م بقيادة استيفان دي جاما Stephan de Gama ووجهته لميناء السويس، والحملة الثانية بقيادة كريستوفر دي جاما Christopher de Gama؛ لمساعدة ملك الحبشة جلاديوس Galawdewos،(٦٧) فوصلت إلى ميناء مصوع، وكان لوصولها صدى كبير في البلاد، وكانت تتكون من أربع مئة وخمسين من المحاربين المسلحين بالأسلحة والمدفعية الحديثة، وسرعان ما انضم إليهم الأمراء القدامى، وتمكنوا من الحصول على مؤازرة قبائل التيجرى(٦٨). وعندما علم الأمير أحمد القرين بوصول تلك الإمدادات البرتغالية وتأييد القبائل المعادية لهم، عمل مضطراً للحيلولة دون اتصال الجيش البرتغالي مع تلك القبائل المعادية التي تضمر التأييد لملك الحبشة في مقاطعة شوا، ولكن عندما نشبت المعركة مع هذه التشكيلات الجديدة التي استعملت من الأسلحة الحديثة ما لم تعهده الحبشة من قبل، لحقت الهزيمة بقوات الأمير أحمد في سنة ٩٥٠هـ/١٥٤٣م وأصيب بجراح، وفي معركة لاحقة – بعد بضعة أيام – لحقته الهزيمة مرة أخرى وتمكن بإعجوبة من الإفلات من الأسر، ولم تكن لدى البرتغاليين من الفرسان ما يمكنه تعقبه والقبض عليه(٦٩).

ولقد كان لهاتين الهزيمتين أسوأ الأثر على الأمير أحمد، الذي سارع إلى العودة إلى الجبال المطلة على وادي الدناكل؛ لكي يعمل على جمع قواته وتنظيم صفوفه، ووجد نفسه مدفوعاً إلى طلب العون والمساعدة من الدولة العثمانية، التي رأت في استنجاد الأمير أحمد بها دافعًا أساسياً وبارزاً سوف يعجَّل ببسط النفوذ العثماني على السواحل الغربية للبحر الأحمر، ومساندة الإمارات الإسلامية في شرق إفريقيا بوصف ذلك – أولاً وقبل كل شيء – واجبًا دينياً تفرضه واجبات الخلافة الإسلامية؛ ولذا اتصل العثمانيون بالأمير أحمد وأمدوه بالأسلحة وخصوصًا بالمدافع والبنادق(٧٠)، ولكن لا بد أن يكون قد سبق هذا الإمداد محادثات تبين لهم منها أن هذا الأمير المسلم – إذا أعلن الثورة على الإمبراطور الحبشي، ونجح في تقويض هذه المملكة المسيحية وإقامة أخرى إسلامية على أنقاضها– يستطيع أن يبذل لهم العون، ويوطد أقدامهم في تلك المناطق، وحينئذ يستطيعون أن يتغلبوا على البرتغاليين بإحياء الطريق القديم بين أوروبا والهند، إضافة إلى حماية مصالح العالم الإسلامي، وخاصة الأماكن المقدسة في الحجاز من المخططات البرتغالية الصليبية(٧١).

وقد وجد العثمانيون في أمير هرر أحمد القرين القوة التي تمكنهم من السيطرة الكاملة على الساحل الغربي للبحر الأحمر، كما استفادوا من تدينه وتقواه لإظهاره أمام مسلمي الحبشة بمثابة قائد ديني يجمع كلمتهم ويوجه قوتهم ضد الأحباش(٧٢).

وقد أقنع العثمانيون الأمير أحمد بأن قيام دولة إسلامية في أثيوبيا تجعل البحر الأحمر بحيرة إسلامية تتسيدها الأساطيل العثمانية، ووضعا معاً أساس إمبراطورية إسلامية يكون الأمير أحمد ممثلاً لها في البحر الأحمر بعد أن يضم إليه الأجزاء الإسلامية من الحبشة، بل أنه يستطيع أيضاً القضاء على دولة الحبشة بفضل ما وعده به العثمانيون من أسلحة حديثة من البنادق والمدافع، التي كانت في ذلك الوقت اختراعاً لا يعرفه الأحباش، فكان هذا هو السبب الأول في قيام الثورة الجامحة التي اتسمت بالعداوة الدينية للمرة الأولى في تاريخ أثيوبيا(٧٣).

وانطلاقاً لتحقيق تلك الأهداف توالت المساعدات العثمانية للأمير أحمد وازدادت؛ وذلك لإجهاض حركة التعاون بين البرتغاليين والأحباش الذي ظهر في تهديد النفوذ العثماني في البحر الأحمر، ولذا هبت لمساندة الأمير أحمد عندما استنجد بها بعد وصول الإمدادات البرتغالية للأحباش، فأرسلت لواليها العثماني في زبيد مصطفى النشار(٧٤)، (٩٤٧-٩٥٢هـ/١٥٤٠-١٠٤٥م) – (٩٦٣-٩٦٤هـ/ ١٥٥٥-١٥٥٦م) بتزويد الأمير بالجنود والسلاح، مرتين، المرة الأولى: أرسل له البنادق وكرات المدافع مع مئتي جندي، وفي المرة الثانية: أرسل له ست مئة جندي، مزودين بالأسلحة ومواد التمويل، وفي تلك الأثناء أرسلت الدولة العثمانية لمصطفى باشا في زبيد حوالي مئتي ألف أوقية من الذهب؛ لمساعدته في دعم أحمد القرين، وبوصولها أرسل من طرفه مدفعين آخريين، وعشر كرات من المدافع مع تسع مئة جندي

من جنود التفنكجيان[٧٥]، إضافة إلى المساعدات الحربية ومواد التمويل التي أرسلها أمير مكة المكرمة الشريف أبو نمي محمد بن بركات[٧٦] (٩٣١-٩٩٢هـ/١٥٢٤-١٥٨٤م) بأمر من الدولة العثمانية، وهذا بدوره ما جعل الأمير أحمد يطمئن إلى وجود قاعدة قوية مضاف إليها التفاف مسلمي دول الطراز الإسلامي حوله مما شجعه على متابعة كفاحه ضد الأحباش وحلفاؤهم البرتغاليين[٧٧]، وعندما وصلته تلك الإمدادات العثمانية من اليمن والحجاز التقى مع الأحباش في معركة " أفلا Afla" في سنة ٩٤٩هـ/١٥٤٢م، وانتصر فيها على الرغم من تفوق البحرية والمدفعية البرتغالية، إلاَّ أن نشوة النصر عند الأمير أحمد القرين دفعته إلى إعادة القوات العثمانية لليمن[٧٨]، ولم يتبق معه سوى مئتي جندي، كما قام بتسريح قوات المتطوعين، وبعض كتائب فرسانه، وأعاد للعثمانيين بعض الأسلحة والمدافع التي جهزوا حملته بها[٧٩]، وهذا ما أعطى الفرصة للتحالف البرتغالي الحبشي؛ لإعادة تنظيم قواتهم من جديد، وداهمت قوات الأمير أحمد على حين غفلة[٨٠]، فلم يعد بإمكان الأمير أحمد جمع شتات قواته التي تفرقت في أرجاء مملكته المترامية الأطراف، وبناء على امتداد طرق مواصلاته الطويلة، فقد استحال على قواعد تموينه إيصال الإمدادات اللازمة في الوقت المناسب خاصة المساعدات العثمانية من قواعدها في البحر الأحمر[٨١]، فهاجمت القوات البرتغالية الحبشية جيوش الأمير أحمد، وتمكن القائد بدرو ليوني Bedro Lyone من اختراق الصفوف إلى حيث الأمير أحمد وأطلق عليه الرصاص فجرح جرحاً مميتاً وسقط عن جواده ميتاً في سنة ٩٥٠هـ/١٥٤٣م[٨٢]، وتفرقت جيوشه، وسارعت أقاليم الهضبة لتقديم فروض الولاء والطاعة مرة أخرى للإمبراطور الحبشي جلاديوس Galawdewos، وعادت الأمور إلى سابق عهدها قبل عهد الأمير أحمد القرين[٨٣].

ومما تجدر الإشارة إليه، أن غزوة الأمير أحمد للحبشة كما أسماها الكثير من المؤرخين بـ (الغزو العظيم) [٨٤] كانت الغزوة الأولى من نوعها في تاريخ الحبشة، التي أمكن فيها لقائد أن يوطد يها أركان ملكه بغير منازع على جميع أرجاء الحبشة، وكان عهده في ذلك فريداً في بابه لم يتيسر لأحد من الملوك إلاَ في أوائل القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين ميلادي في عهد الإمبراطور منليك الثاني MenelikII (١٣٠٧-١٣٣٢هـ/١٨٨٩-١٩١٣م).

ولم تنقطع المقاومة الإسلامية في شرق إفريقيا بموت الأمير أحمد القرين، ولم ينته تحالف العثمانيين مع القوى الإسلامية؛ للتصدي للنفوذ البرتغالي داخل البحر الأحمر؛ إذ رأت الدولة العثمانية أن في مساندتها لحركة الجهاد الإسلامي في شرق إفريقيا تحقيقاً لهدف أساسي من أهداف سياستها الأمنية في البحر الأحمر، ولذلك دعمت حركات الجهاد الإسلامي الأخرى التي قامت في هرر بعد مقتل الأمير أحمد ضد التحالف الحبشي البرتغالي.

فبعد انتهاء الغزوة الكبرى، أخذ الإمبراطور جلاوديوس في إعادة تشكيل جيوشه وتنظيمها، حيث أدى التدخل البرتغالي إلى تغيير موازين القوى لصالح الأحباش، ومن ثم تعمق النفوذ البرتغالي، فالجنود البرتغاليين فضلوا عقب استشهاد الأمير أحمد البقاء في الحبشة خاصة بعد أن طلب منهم الإمبراطور جلادوديوس ذلك لحمايته، وبناء ما دمرته الحرب؛ نظراً لكون الكثير منهم أصحاب حرف تفتقر إليها الحبشة مثل الصناعة والزراعة، وما لبث هؤلاء البرتغاليين أن تزوجوا بالحبشيات وكونوا أسراً مختلطة(٨٥).

أما المسلمون، فبعد الهزيمة التي حلت بجيوشهم ودمرتها، فقد تجمعت بقايا قواتهم في مدينة هرر، وعقدوا العزم على القيام بجولة ثانية؛ لاستعادة مجد المسلمين، فقام الوزير عباس بحركة جهادية لتكوين دولة إسلامية جديدة من مقاطعات دوارو وفاتاجر وبالي، ولكن الإمبراطور جلاوديوس قضى على تلك المحاولات وقام باحتلال المقاطعات، ولكنه كان احتلالاً سريع الزوال، حيث وصلت طلائع قبائل الجالا إلى بالي وجعلوا منها مركزاً لهم للإنطلاق إلى المناطق الأخرى(٨٦).

وكان من أثر ذلك أن أخذت عوامل الاتحاد تظهر بين المسلمين في مدينة هرر وخصوصاً تحت تأثير زوجة الأمير أحمد، التي عزمت على الانتقام لزوجها، فقامت حركتي عمرو دين وعلي الجراد ابن الأمير أحمد وكان نصيبها الفشل في محاولتها الأولى(٨٧).

وفي سنة ٩٥٦هـ/١٥٥١م، تولى القيادة نور بن الوزير مجاهد – ابن أخت الأمير أحمد– الذي تزوج من أرملة الأمير أحمد بعد أن تعهد لها بالانتقام له(٨٨)، وأخذ في إعادة تنظيم قواته وتجهيزها للمجابهة القادمة، فحصن مدينة هرر وبنى سورها الذي لا يزال يحيط بها إلى الآن، وجرت أولى المناوشات بينه وبين الأحباش، فكانت غير موفقة، ولكن سرعان ما تغير موقف مملكة الحبشة المسيحية، عندما أصبحت مهددة من الجنوب من قبائل الجالا، ومن الشمال بواسطة الأتراك العثمانيين(٨٩).

(٣) تأسيس ولاية الحبش(٩٠) واستمرار العثمانيون في دعم المقاومة الإسلامية في إمارة هرر:

بعد انتهاء ولاية أوزمير باشا على اليمن وعودته إلى إستانبول عن طريق سواكن ثم مصر، اقترح على السلطان العثماني سليمان القانوني(٩١) (٩٢٦-٩٧٤هـ/١٥٢٠-١٥٦٦م) فتح أراضي الحبشة وتدعيم النفوذ العثماني على ساحلها(٩٢)، ومن ثم السيطرة على امتداد ساحل البحر الأحمر الغربي؛ فوافقت الدولة العثمانية على اقتراحاته وعهدت إليه بضم الحبشة؛ وبادر أوزدمير باشا بإعداد جيش عسكري كبير توجه به براً عن طريق صعيد مصر فاستولى على بريم ونجح في السيطرة على قلعتها، كما استولى على قلعة درر، ومدينة مفراق، وصاي(٩٣)، حتى وصل إلى سواكن فاستولى عليها(٩٤)، كما قام بنقل السفن من ميناء السويس إلى ميناء سواكن، إضافة على نقل مخازن الأسلحة والذخيرة إليها(٩٥)، ثم تقدم باتجاه الساحل الغربي للبحر الأحمر من أجل إنشاء قواعد عسكرية عثمانية في تلك المناطق تكون نقطة ارتكاز للعمليات العثمانية العسكرية الموجهة ضد الحبشة وحليفتها البرتغال، فاستولى على مصوع وبعض

الأراضي المحيطة بها بعد أن أحكم حصارها براً وبحراً، ومن ثم قطع اتصال إمبراطورية الحبشة بالبحر، ومنع المساعدات البرتغالية لهذه البلاد ونقل العاصمة إلى هذا الميناء، وبعد ذلك استولى على زيلع؛ بمساعدة الأسطول العثماني في البحر الأحمر في سنة ٩٦٥هـ/١٥٥٧م[٩٦]، كما استولى على أركيكو[٩٧]، التابعة لملك الحبشة، ودخلت بعد ذلك الجزر التابعة لدهلك في حوزة الدولة العثمانية، وفي البداية ظلت هذه الجزر تابعة إدارياً لإيالة اليمن، حتى عهد بها إلى أوزدمير باشا، الذي بدأ في نشر قواته في الحبشة والمناطق الشمالية، وكانت كل عملية عسكرية يتم تنفيذها يكون لها عظيم الأثر في العمليات العسكرية الأخرى[٩٨]. وقد دفعت مصر من خزانتها للإنفاق على مستلزمات الجند الذين توجهوا لضم مناطق جديدة لحساب الدولة العثمانية، كما صرفت الخزانة المصرية مئة ألف أقجه[٩٩] لإمارة أوزدمير باشا وزيد هذا المبلغ بعد ذلك لعدم كفايته في إدارة شؤون الإمارة الجديدة، ثم أُلحقت جزيرة دهلك إدارياً إلى ولاية الحبش، وكان يحصل منها تسعة أكياس[١٠٠] إلى داخل الولاية الجديدة، وقد انضم من اليمن بعض الجنود للإشتراك ضمن صفوف القوات في ولاية الحبش، كما قدم بعض الجنود من الإمارات العثمانية الأخرى للاشتراك في الحملات العثمانية ضد الحبشة، كما استعان أوزدمير باشا بمرشد يسمى (حطاب)؛ لمساعدته في معرفة الأوضاع الداخلية لإقليم الحبشة والقبائل التابعة له[١٠١].

وفي الوقت ذاته وإمعاناً من الدولة العثمانية في الحفاظ على الأمن والاستقرار في تلك المناطق المفتوحة عينت فرق من جند مصر؛ للحفاظ على الأمن في تلك المناطق بطريق المناوبة لأول مرة، كما ألحقت بعض المناطق في أبريم وفي ولاية الصعيد بولاية الحبش؛ للقضاء على حركات القبائل العربية وعصيانها هناك، كما أمرت بتوفير احتياجات ولاية الحبش من مناطق جنوب مصر الغنية بالبارود والحبوب؛ لمساعدة الأهالي والجنود في صدّ العدوان البرتغالي – الحبشي[١٠٢].

وكانت احتياجات ولاية الحبش تُوفر من ولاية مصر مباشرة، وبخاصة الاحتياجات الدورية منها، أما الاحتياجات الطارئة والتي ليس لولاية مصر القدرة على توفيرها، وخاصة السلاح، فكان والي مصر يرفع بطلبها مباشرة من إستانبول، حيث كانت ترسل هذه الإمدادات عن طريق ولاية مصر[١٠٣]، وفي حالة عجز والي مصر عن توفير الاحتياجات المطلوبة لولاية الحبش، كان يحيط مركز الدولة علماً بالأمر، حيث تصدر الأوامر إلى أمير مكة المكرمة ليقوم بدوره في تقديم المعونات اللازمة من الجند والجياد بحسب العادة إلى والي ولاية الحبش، كما كانت تُصدر الأوامر إلى والي اليمن للقيام بدوره في تقديم المعونات العسكرية لوالي ولاية الحبش[١٠٤].

وبعد ذلك نظم أوزدمير باشا ولاية الحبش، وألحقت بها الدولة العثمانية سنجقية[١٠٥] جدة، وجعلتها تحت إدارة واحدة ممثلة في سنجق جدة التركي[١٠٦]، وكان غرض الدولة العثمانية من هذا الإجراء الإداري متابعة الدوريات البحرية العثمانية في البحر الأحمر بين شواطئه الشرقية والغربية؛ لإحكام السيطرة على

مياه البحر الأحمر وإغلاقه في وجه السفن المسيحية من ناحية، ومراقبة السفن البرتغالية وتدعيم الكيان العثماني أمام التحالف البرتغالي الحبشي من ناحية أخرى.

وبعد أن نظم أوزدمير باشا ولاية الحبش واتخذ مصوع عاصمة لها[١٠٧]، وضع مخططاً عسكرياً عثمانياً يهدف إلى تحقيق الغرض العثماني من إنشاء هذه الولاية، فبدأ بشن الحملات العسكرية على الأقاليم المجاورة، فأغار على دبرا دامو Debra Damo، وهدم الدير المقدس الموجود بها[١٠٨] – وهو مكان مقدس لملك الحبشة وشعبها– كما استولى أحد القادة التابعين لأزدومير باشا على جزيرة بوري Buri، وهزم قبائل الجالا الموجودة في الجنوب الشرقي بإقليم الحبشة[١٠٩].

كما أغار أوزدمير باشا على إقليم دباروا Dabarwa، وأعلن حاكمها البحرنجش الدخول في طاعة العثمانيين، وعقد تحالفاً معهم، ووضع نفسه والجزء الذي يحكمه من الحبشة تحت سيادة العثمانيين، كما أعلن العرب على ملك الحبشة وجيشها[١١٠]، وقد اختار أوزدمير باشا هذه المنطقة لتكون نقطة انطلاق لشن الحملات العثمانية على بقية أقاليم الحبشة الداخلية، وكانت مصوع وسواكن بمثابة مراكز الإمدادات والتراجع عند الهزيمة، وأنشأ أوزدمير باشا في دباروا حصناً من الحجر أنزل فيه حامية عسكرية عثمانية، ووضع به الغنائم التي كان يتحصل عليها من العمليات العسكرية الناجحة التي قام بها[١١١]، كما أنشأ بها أيضًا الجامع الكبير وعدة مساجد صغيرة، وأسلم الكثير من أهالي الحبشة من النصارى والوثنيين[١١٢].

كما غزا أوزدمير باشا إقليم أجامي Agame، فهاجم الأديرة شمال غرب أديرجات Adirgat وقتل رهبانه وخرب كنيسته[١١٣]، فكان رد البرتغاليين على ذلك سريعاً، فأرسلوا حملة برتغالية برئاسة أندروا أوفيدا Andrew Ovida في سنة ٩٦٧هـ/١٥٥٩م، ولكنها فشلت باصطدامها بالصخور عند مدخل البحر الأحمر، وفي تلك الأثناء اتصل أوزدمير باشا بنور الدين مجاهد؛ للقيام بهجوم مشترك على المناطق الداخلية للحبشة في سنتي٩٦٦-٩٦٧هـ/١٥٥٨-١٥٥٩م، فنجح نور الدين مجاهد في بسط سياسته على المناطق الممتدة من مصوع إلى دباروا[١١٤].

وبعد وفاة أوزدمير باشا، بدأت علامات التفرق تظهر في ولاية الحبش، وتولى بعده ابنه عثمان بن أوزدمير باشا (٩٦٩-٩٧٥هـ/١٥٦١-١٥٦٧م) [١١٥]، وكان أول عمل قام به هو إعادة ترتيب القوات التي كانت تحت إمرته والجنود التي أحضرها معه من مصر، وقد وضع سواحل الصومال تحت نظام المراقبة الشديدة، ومنع القوات البرتغالية من تقديم المساعدة لإمبراطورية الحبشة، وقد تمكن عثمان بن أوزدمير باشا من الاستفادة من الاضطرابات الداخلية في الحبشة لصالحه، بين البحر نجش – حاكم دباروا– وبين الأمبراطور ميناس Mines ونج سجد الثاني Wange Sagda II (٩٦٧-٩٧١هـ/١٥٥٩-١٥٦٣م) فهاجم الحبشة وهزم ميناس في سنة ٩٧٠هـ/١٥٦٢م هزيمة منكرة في أندرتا Enderta في أراضي تيجرى، ثم استولى بعد ذلك على دباروا، وأقام قلعة عسكرية في سواكن ضد الفونج، واستطاع أن يعيد الموقف في

الحبشة على ما كان عليه زمن والده. وقد أسس إدارة فعلية في الأماكن الأخرى التي لم يدخلها العثمانيون من قبل، إلاَّ أن الأماكن الشمالية الغربية من ولاية الحبش أُصيبت بأخطار في سنة ٩٧٢هـ/١٥٦٤م، من القبائل التابعة لسلطنة الفونج التي لم تعد تعترف بالسلطة العثمانية التي كان معترف بها من قبل، فاعتدت هذه القبائل على سواكن والأماكن المحيطة بها(١١٦).

وقد أنشأ عثمان بن أوزدمير باشا إدارة جديدة ومنظمة في ولاية الحبش في المدة التي بقي فيها هناك وهي سبع سنوات، وكان يُرسل بتقارير منتظمة في إجراءاته وأعماله في ولاية الحبش، وكانت تقاريره تُقابل بالإمتنان البالغ(١١٧).

وخلف عثمان بن أوزدمير باشا حسين باشا في ولاية الحبش، ولم يظهر له أي نوع من النشاط في ولاية الحبش، وفي تلك الأثناء هاجمت قبائل الجالا إمارة هرر الإسلامية في مدة أفول نجمها، وبعد هجمات متتالية وغزوات مركزة سيرتها خراباً ودماراً(١١٨)، وعُزل حسين باشا عن ولاية الحبش، وتولى بعده أحمد باشا بن اسكندر في سنة ٩٧٨هـ/١٥٧٠م(١١٩).

وفي عهد أحمد باشا أظهر الجنود ضيقاً من عدم توفر مرتباتهم واحتياجاتهم، ورغم جهود أحمد باشا أنه لم يستطع إزالة أسباب هذه الشكوى، وكان السبب في ذلك يرجع إلى القحط الذي شمل مصر والولايات المجاورة لها في تلك المدة، كما أن رغبة الدولة العثمانية في إخماد ثورة اليمن ورغبتها في فرض سيطرتها الفعلية على اليمن مرة أخرى، والمجهودات الحربية التي بذلت في هذا الشأن، فقد عملت على نقل عدد من الجنود في ولاية الحبش إلى ولاية اليمن(١٢٠).

وقد قام أحمد باشا بإنشاء العديد من القلاع والحصون في ولاية الحبش؛ لتقويتها عسكرياً، وعلى الرغم من جهوده المضنية التي بذلها، إلا أن مشكلة نقص احتياجات الجند والحامية العثمانية لم تُحل؛ ولذا ترك أحمد باشا ولاية الجيش برغبته(١٢١).

وتولى ولاية الحبش بعد أحمد باشا رضوان باشا في سنة ٩٨٠هـ/١٥٧٢م، وكان على دراية كاملة بأحوال الإقليم ومشاكله، ولذا طلب رضوان باشا مساعدات عسكرية من ولاية اليمن ممثلة في خمس مئة بندقية، ومئة قنطار من البارود، وخمس مئة جندي من اليمن، كما طلب من ولاية مصر عدد من المدافع والأسلحة والذخيرة، كما قام بتوفير احتياجات الجند والحامية العثمانية في ولاية الحبش من المساعدات العسكرية والنقدية من ولايتي مصر واليمن(١٢٢).

كما أرسل رضوان باشا والي الحبش عدد من القوات العسكرية بقيادة مراد أغا لمواجهة قوات أسحق Yeshak، والذي تحالف مع ملك الحبشة؛ لإسترداد الأراضي التي بحوزة العثمانيين، واختار دباروا مركزاً لهجومه، إلاَّ أن محاولاته باءت بالفشل؛ بسبب قوة العثمانيين ودفاعهم عن دباروا، إلاَّ أن أسحق نجح بعد

ذلك في التحالف مع ملك الحبشة والاستيلاء على أركيكو، مما أدى ذلك إلى عزل رضوان باشا من ولاية الحبش في سنة ٩٨٢هـ/١٥٧٤م(١٢٣).

وخلف مصطفى باشا رضوان باشا في ولاية الحبش في سنة ٩٨٢هـ/١٥٧٤م، واستمرت ولايته حتى سنة ٩٨٤هـ/١٥٧٦م، ويُذكر أن لم يحدث في أثناء ولايته أي حدث كان، وتوفي في مصوع، وقد شغر مكانه مدة بعد وفاته وظلت ولاية الجيش بلا وال حتى تم تعيين الوالي الجديد(١٢٤).

وكان الموكل بإدارة ولاية الجيش في هذه الأثناء هو محمد بك – أمير سنجق –، ثم عُين سليمان باشا على ولاية الحبش، إلاَّ أنه لم يذهب لتولي عمله في ولاية الحبش، فعُزل وتولى بدلاً منه أخوه أحمد في سنة ٩٨٥هـ/١٥٧٧م(١٢٥).

وفي تلك الأثناء سعت الدولة العثمانية استكمالاً لتحقيق أهدافها من مساندة مسلمي إمارة هرر والقوى الإسلامية في شرق إفريقيا إلى مساندة البحر نجش في حربه ضد مملكة الحبشة المسيحية، فأرسلت له المساعدات الحربية – عن طريقي ولايتي الحبش واليمن–، والتي عن طريقها اشتبك مع الأحباش في معارك عنيفة، أسفرت عن انتصار البحر نجش، ومن ثم ثبتت أقدام الدولة العثمانية في إقليم دباروا للمرة الثانية(١٢٦)، إلاَّ أن هذا الانتشار لم يدم طويلاً؛ إذ ما لبث أن هُزم البحر نجش أمام التحالف البرتغالي الحبشي، وقُتل هو والوالي التركي في مصوع في موقعة "عدي كورو Addi Qorro" في سنة ٩٨٦هـ/١٥٧٨م، وتقدم الأحباش نحو إقليم دباروا، واستولوا عليه، وانحصر العثمانيون مرة أخرى في المنطقة الساحلية الممتدة من سواكن حتى مصوع (ولاية الحبش) (١٢٧).

وبعد ذلك تولى خضر باشا ولاية الحبش في سنة ٩٨٧هـ/١٥٧٩م، واستطاع تأمين ثلاث مئة بندقي ومئة فارس وذخائر وبارود، إضافة إلى قواته، وبذل جهوداً عظيمة لتجميع الجنود العثمانيين المهزومين في موقعة (عدي كورو)، وقد نجح بدحر الهجوم الحبشي البرتغالي الذي اتجه إلى مصوع وأركيكو، واتحد مع الجنود الذين قدموا من اليمن، وتم إنقاذ أركيكو بعد هزيمة ساحقة للقوات الحبشية البرتغالية، وأجبرها على التراجع بفضل الإدارة المنظمة التي اتبعها خضر باشا، كما أنقذ مصوع والمناطق المجاورة لها، ومن ثم استطاع خضر باشا إعادة السكون والسيطرة على الأراضي التي تشكل حدود ولاية الحبش(١٢٨).

ثم تولى مصطفى باشا ولاية الحبش بعد خضر باشا في سنة ٩٩٠هـ/١٥٨٢م، وتعقب جميع أخبار ملك الحبشة وذلك عن طريق شبكة منظمة من الجواسيس، فعلم باستعدادات سرسا دنجل Sarsa Dengel ملك الحبشة لخوض حرب عظيمة(١٢٩)، وأنه قدم إلى مدينة سيرى Sire بجيش قوامه أربعون ألف مقاتل، فأرسل مصطفى باشا إلى الشيوخ والقبائل يخبرهم بذلك، وقام بتقوية القلاع والحصون وحفر الخنادق،

واستكمل استعداداته للحرب، وفي هذا الوقت توفي ملك الفونج وخلفه ابنه الأكبر الذي بدأ يخطط في الاستيلاء على سواكن منفذه الوحيد على البحر الأحمر، إلا أنه انشغل بالصراع على السلطة(١٣٠).

ومن الجدير بالذكر أن تلك المناطق الجنوبية التي استولى عليها العثمانيون، لم تكن مستقرة الأحوال، بل كان سكانها يقومون بحركات عصيانية مستمرة ومشاحنات مع الإدارة العثمانية، وقد أثبتت الوثائق اليد الخبيثة التي تحرك هذه الثورات في الخفاء وتمدها بالمساعدات؛ لعرقلة مساعي الدولة العثمانية في ترسيخ نفوذها في المنطقة، حيث تم قبض والي الحبش على جاسوسين برتغاليين في لباس المسلمين، حيث كانوا يتجسسون في موانئ البحر الأحمر وفي الممرات، وكانوا على صلة بسكان تلك المناطق، وقد تم إرسالهم إلى والي مصر ومن هناك تم إرسالهم إلى إستانبول(١٣١).

وبعد ذلك اتضح أن هناك تحالفاً بين ملك الحبشة سارسا دنجل وداكن ملك الفونج(١٣٢)، وذلك للإطاحة بالعثمانيين وطردهم من الأراضي التي في حوزتهم، ومن أجل عرقلة هجوم ملك الفونج أرسل مصطفى باشا يطلب العون والمساعدات من مصر، وقد أجيب طلبه بإرسال الإمدادات العسكرية والأسلحة والذخائر(١٣٣).

وفي الوقت ذاته عزم العثمانيون على استرجاع إقليم دباروا، الذي كان بمثابة حصن منيع لحماية ولاية الحبش من جهة، ومركزاً لشن الحملات العثمانية ضد التحالف الحبشي البرتغالي من جهة أخرى، فساندوا ولد عزوم Walda Ezum في سنة ٩٨٨هـ/١٥٨٩م، واشتبكوا مع الأحباش بمساندة قوات مصطفى باشا مرة أخرى في عدة معارك هزموا في نهايتها، واتجه الإمبراطور سرسا دنجل إلى إمارة هرر الإسلامية واستولى عليها بعد أن اشتبك مع حاكمها(١٣٤) في عدة معارك، قتل في نهايتها.

وبتلك الهزيمة، كانت القوة الحربية لإمارة هرر قد أذنت بالزوال(١٣٥)، وهو ما أثار العثمانيين مرة أخرى، حيث أدركوا أن زوال القوة الحربية لهذه الإمارة والإمارات المجاورة ونهاية صراعها مع الحبشة معناه زوال عملهم في مراقبة الأوضاع في الحبشة وعمليات التحالف بينها وبين البرتغاليين؛ لأن ظهور قوة حربية لهذه الإمارات وثَّوار على مسرح الأحداث السياسية يؤدي إلى لجؤهم إلى الدولة العثمانية لمدها بالسلاح والعتاد، وذلك يعطيها الفرصة للتدخل وضرب النفوذ والتحالف البرتغالي الحبشي، وإفساد جميع مخططاتهم الصليبية التي تهدف لضرب المواقع العثمانية على سواحل البحر الأحمر الشرقية والغربية، ثم الوصول للأماكن المقدسة في الحجاز، ولهذا أسرع السلطان العثماني مراد الثالث(١٣٦) (٩٨٢-١٠٠٣هـ/ ١٥٧٤-١٥٩٤م) بإرسال حملة بقيادة علي بك ميرال(١٣٧)؛ لتخليص البلاد الإسلامية الواقعة على الساحل الشرقي لإفريقيا من السيطرة البرتغالية، وقد استقبله السكان خير استقبال، ومن ثم استطاع علي ميرال كسب تأييد مشايخ الساحل، وعندئذ رأى البرتغاليون ضرورة حسم الموقف وتداركه قبل القضاء على جميع مراكزهم التجارية وقواعدهم العسكرية في شرق إفريقيا، فأرسلوا أسطولاً كبيراً بقيادة ري دي كامارا

Ruy de Camara وصلت إلى جزيرة كمران واشتبك مع القوات العثمانية، التي ظفرت بقتله وحالت دون وصولهم لإمارات الساحل الشرقي لإفريقيا، وقد عادت الحملة إلى ميناء جوا تجر ذيول فشلها، عندئذ قرر نائب الملك في الهند دورات دي مينزيس Duart de Meneses إرسال حملة تأديبية لسكان الساحل الإفريقي بقيادة مارتيم دي ميلو Martem de Melo في سنة ٩٩٦هـ/١٥٨٧م(١٣٨)، وقد وصلت هذه إلى ممباسا، واستولت على قلاعها وحصونها وعادوا بعدها إلى الخليج دون الاشتباك مع القوات العثمانية(١٣٩)، وهو ما دعا حكام الساحل الشرقي لإفريقيا إلى الاستنجاد بعلي ميرال، فوصل بقواته مرة أخرى في سنة ٩٩٨هـ/١٥٨٩م(١٤٠)، من ميناء المخُا اليمني إلى مالندي، التي قاومته بشدة، حيث أرسل حاكمها يُخبر القيادة البرتغالية في جوا بوصول أسطول علي ميرال إلى مالندي ويطلب مساعدتهم(١٤١)،عندئذ وجدها البرتغاليون فرصة لضرب النفوذ العثماني وحماية قواعدهم ومراكزهم التجارية في شرق إفريقيا، فوصل أسطول برتغالي بقيادة توما ديسوزا كوتينوا Toma Desousa Cautinho إلى ممباسا التي تحصن فيها علي ميرال(١٤٢)، وفي الوقت ذاته زحف خطر كبير من الجنوب وهو خطر قبائل الوزامبا(١٤٣)، Zimba ففوجئ علي ميرال بحصار قبائل الوزامبا من البر، والأسطول البرتغالي من جهة البحر، وهو ما مكنَّ الأسطول البرتغالي منه، فأوقعوا به الهزيمة، وأخذوه إلى جوا بالهند في سنة ٩٩٨هـ/١٥٨٩م، ثم إلى لشبونة، حيث توفي هناك(١٤٤).

وبإخفاق حملة علي ميرال انتهى آخر نشاط بحري عثماني كبير في البحار الشرقية وسواحل إفريقيا لمساندة مسلمي إمارة هرر والإمارات الإسلامية في شرق إفريقيا من جهة ومقاومة النفوذ البرتغالي من جهة أخرى، ومقاومة النفوذ البرتغالي، كما أن حملة توما ديسوزا كوتينوا كانت آخر حملة برتغالية دخلت البحر الأحمر في سبيل مهاجمة المراكز العثمانية داخله(١٤٥)، واقتصر دخول الحملات البرتغالية بعدها إلى البحر الأحمر على إنزال بعثات كاثوليكية في أرض الحبشة وحسب، دون الاشتباك مع الأسطول العثماني مثل: بعثتي بايز Payz ومونصارات(١٤٦) Monsaratt، وبعثة سنة ١٠٠٣هـ/١٥٩٣م، برئاسة مارا مايت يريست Maroraite Priest، وبعثة أخرى في سنة ١٠٠٣هـ/١٥٩٤م، وبعثة مليثو ردي سيلفيا Milchior de Syliva في سنة ١٠٠٤هـ/١٥٩٥م، التي كانت آخر محاولة من البرتغاليين للدخول في البحر الأحمر(١٤٧).

نتائج الدراسة وتوصياتها

أولا: نتائج الدراسة :

- أظهرت الدراسة أن الحروب بين الأحباش ومسلمي شرق إفريقيا اتخذت ظاهرة الحرب الدينية بين طرفين مختلفين في الديانة كل منهما يريد نشر ديانته والقضاء على الأخرى.
- أوضحت الدراسة أن اعتداء الحبشة المتكرر والمستمر على مسلمي شرق إفريقيا وخاصة إمارة هرر الإسلامية، قد جعل من رد المسلمين لعدوان الأحباش فتوحات إسلامية لمعظم أجزاء الحبشة باتجاهاتها المختلفة ، خاصة في عهد أمير هرر أحمد بن إبراهيم القرين، تلك الفتوحات التي اطلق عليها المؤرخون بـ(الغزو العظيم).
- أوضحت الدراسة أن دور إمارة هرر في الجهاد الإسلامي ضد الأحباش والبرتغاليين، هو أحد أدوار ثلاثة ، احتلت فيها هرر الدور الأخير بعد أن سبقتها كل من عدل وإيفات، ولكنها تميزت عنهما بمميزات جعلتها صاحبة السيادة لمدة زمنية طويلة أوشكت فيها الحبشة أن تصبح مملكة إسلامية لولا استشهاد زعيمها الأمير أحمد بن إبراهيم القرين.
- أبرزت الدراسة أنه كان للوجود العثماني على السواحل الحبشية أثره الفعال في ازدياد التعاون بينهم وبين مسلمي شرق إفريقيا وخاصة مسلمي إمارة هرر الإسلامية ، بدليل أنه ما أن ارتفعت الأصوات تنادي بضرورة جهاد المسلمين ضد الحبشة حتى بدأت الاستجابة الفورية من قبل أمراء المدن الإسلامية على سواحل الحبشة.
- أوضحت الدراسة أنه كان من نتيجة انتصار الأمير أحمد بن إبراهيم القرين على الأحباش في موقعة ((شامبا كوري)) في سنة ٩٣٥هـ/١٥٢٨م أثرها الفعال في انتهاج مسلمي إمارة هرر الإسلامية استراتيجية حربية جديدة تختلف عن السابق ،عندما كانوا يقومون بالإغارة على أطراف الحبشة ، صمموا بعد انتصارهم في المعركة على ضرورة النفوذ إلى داخل الهضبة الحبشية ذاتها، مما كان الأثر الكبير في فتح أجزاء واسعة من أراضي الحبشة ، ونشر الإسلام بين سكانها إلى حد كبير.
- أظهرت الدراسة أنه في الوقت الذي اندفع فيه الصوماليون نحو الهضبة الحبشية لاختراقها ، تمركز العثمانيون في قواعدهم الساحلية ؛ لتأمين قواعد الأمير أحمد بن إبراهيم القرين البرية التي انطلق منها من جهة ، ومراقبة الوحدات البحرية البرتغالية – التي تعودت سنويا الإغارة على سواحل البحر الأحمر – واعتراضها وتدميرها .

- أبرزت الدراسة أنه كان لموقع مدينة هرر أهمية كبيرة بالنسبة للأحباش، إذ يُعدَّ منفذ وسوق لتصريف منتجات الحبشة واستيراد ما تحتاجه من جهات أخرى ، لذا لم يكن مستغرب أن يداوم الأحباش غاراتهم على المدينة.
- أوضحت الدراسة أن الأحداث السابقة التي مر بها البرتغاليون سواء في المحيط الهندي أم أثناء حروبهم مع الأحباش ضد الأمير أحمد بن إبراهيم القرين، أن سيطرة البرتغاليين على الحبشة كان يجب أن تكون مستمرة، ذلك أن ترك العثمانيين يهددونها أمر قد ينتهي بهم إلى جعلها مملكة إسلامية، وهذا بدوره ما يساعد على جعل البحر الأحمر بحيرة إسلامية تساعد العثمانيين على الخروج واعتراض السفن البرتغالية ما بين الهند وشرق إفريقيا، خاصة أن السفن البرتغالية المتجهة من لشبونة إلى الهند كانت تتوقف في شرق إفريقيا للاستراحة والتزود بالمؤن.
- أبرزت الدراسة أن جهاد إمارة هرر الإسلامية قد ضعف تماما عقب وفاة نور بن مجاهد، بعد أن أنهكت الحروب السابقة مواردها من الرجال والعتا، حتى أنها لم تستطع مشاركة الدولة العثمانية بعد ذلك عملياتها الحربية في شرقي الهضبة الحبشية ، ويرجع ذلك إلى نشوب الصراع بين الأسر المتتابعة على العرش، إضافة إلى تعرضها لموجات شديدة من غارات قبائل الجالا التي قامت بقطع الطرق التجارية بين هرر وزيلع، وجلبت عليها انهياراً تاماً في اقتصادها، ولذا أضحت مهمة خلفاء نور بن مجاهد هي المحافظة فقط على حدود الإمارات الإسلامية من الأحباش المتربصين بها، ونتيجة لذلك تركز كفاحهم في المناطق الداخلية لتحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية لشعوبهم.
- كشفت الدراسة أن سيطرة الدولة العثمانية على السواحل الغربية للبحر الأحمر ، تعد هدفاً أساسياً من أهداف سياستها في هذا البحر عامة، وتنفيذا لتلك السياسة، أرسلت الدولة حملة عسكرية؛ لإخضاع السواحل الشرقية لإفريقيا بقيادة أوزدمير باشا، والتي نجحت في إخضاع تلك السواحل للسيادة العثمانية، وتأسيس ما عرف بـ(ولاية الحبش).
- أكدت الدراسة أنه من خلال ارتباط ولاية الحبش بمصر طوال القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين/ السادس والسابع عشر الميلاديين، تبين مكانة مصر، وأهميتها لهذه المناطق في الدولة العثمانية، حيث حازت مصر على أهمية قصوى، ومكانة عظيمة بين ولايات الدولة في الشرق، حيث كانت ممثلة للدولة العثمانية في تلك الجهات، ومطبقة لسياستها فيها ، وكانت تعمل بصفتها حلقة وصل بين الإدارة المركزية في إستانبول، وبين ولاياتها في الشرق، وقد ساعدها على احتلال هذه المكانة، موقعها المتوسط بين ولايات الدولة، والروابط التاريخية والحضارية التي تربطها مع تلك الولايات، إلى جانب مواردها الاقتصادية والعسكرية الغنية .

- أوضحت الدراسة أنه كان لاستقرار أحوال مصر الإدارية والمالية ، تأثير مباشر على الأوضاع في ولاية الحبش ، كما كان للأوضاع الأمنية المضطربة باستمرار في هذه الولاية ، انعكاس مباشر على أحوال مصر الإدارية والمالية أيضاً.
- أوضحت الدراسة أن تأمين البحر الأحمر كان خطوة إيجابية من قبل العثمانيين؛ إذ أنه على الرغم من المشاكل التي كانت تمر بها الدولة العثمانية ومتاعبها على سواحل اليمن إلا أنها تمكنت من تأمين البحر الأحمر بالتعاون مع إمارة هرر والقوى الإسلامية في شرق إفريقيا ، فعندما رفع الأمير أحمد بن إبراهيم القرين راية الجهاد الإسلامي ضد الأحباش نشطت السواحل الشرقية للبحر الأحمر ممثلة في القيادات العثمانية في اليمن وأشراف الحجاز في سبيل مشاركة الإمارات الإسلامية معاركها ضد الأحباش والبرتغال معاً، وتجلت صور الوحدة الإسلامية في اجتماع فصائل المجاهدين من اليمن والحجاز والقوات النظامية العثمانية إلى إخوانهم من مسلمي الإمارات ، هذا بخلاف المساعدات العسكرية والاقتصادية التي تلقاها مسلمو الإمارات ، الأمر الذي أدى إلى إلحاق هزائم شديدة بصفوف القوى الصليبية المتحالفة .
- أكدت الدراسة نجاح الدولة العثمانية في حماية البحر الأحمر وتأمينه ، وأنها أضحت صاحبة الأمر فيه ، كما أن نجاحها أدى إلى جلب أنظار الدول الأوربية إلى البحر ذاته ، وتحويل الصراع إلى مسألة دولية كما حدث من خلال المعارك التي دارت رحاها على السواحل الغربية بين الحلف الإسلامي الممثل في الإمارات الإسلامية بمؤازرة الدولة العثمانية واليمن والحجاز والحلف المسيحي الممثل في الأحباش والبرتغاليين ، وعلى الرغم من النتائج التي وصلت إليها تلك المعارك ، فقد نجح العثمانيون في الحفاظ على البحر الأحمر ومراقبة سواحله الغربية ، وظل الصراع بينهم وبين البرتغاليين مسألة دولية حتى نهاية القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي بعد انضمام البابوية والأسبان .
- أظهرت الدراسة أنه إذا كان البرتغاليون قد نجحوا في تأمين قواعدهم داخل المحيط الهندي التي كانت بمثابة قواعد الارتكاز، فقد نجح العثمانيون في القضاء على خطورتهم داخل البحر الأحمر، وإن نجح البرتغاليون في ضم الهنادكة إلى صفوفهم ، فإن الحظ خالف العثمانيين في تكوين جبهة موحدة مستمرة على شواطئ البحر الأحمر .
- أظهرت الدراسة أنه في خلال تلك المدة التي قاست فيها الإمارات الإسلامية في شرق إفريقيا من هزائم وتشتت، كانت الحبشة المسيحية مشغولة بأحداثها وحروبها ضد قبائل الجالا، التي انتهزت فرصة الخلافات داخل المملكة الحبشية المسيحية وعودة المنازعات القديمة بين الأمراء، الذين أخذ كل منهم ينزع إلى الاستقلال، وأمعنت في تغلغلها داخل المملكة الحبشية، كما وقعت – بعد ذلك

– الحروب بينهم وبين العثمانيين في مصوع ، انسحب بعدها الأتراك بعد أن اكتفوا بتعيين نائب في مصوع وأركيكو مع بقاء المنطقة تابعة للحكم العثماني ، وبذلك سادت الحبشة كلها – بمناطقها الإسلامية والمسيحية– مرحلة جديدة من الاضطراب والعزلة مدة قرنين من الزمان كانت فيها البلاد نهباً للاضطرابات، وتفتت البلاد إلى عدد كبير من الإمارات التي ظل ينازع بعضها البعض إلى منتصف القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي ، عندما خرجت الحبشة من عزلتها مرة ثانية في عهد الامبراطور ثيودور الثاني Tewodor 11 (١٢٧٢-١٢٨٦هـ/ ١٨٥٥-١٨٦٩م) والذي كان له دور بارز في توحيد الحبشة ، وإنهاء حالة الانقسام التي عرفت بـ(زمن الأمراء) .

- كشفت الدراسة أنه لم يكن للعثمانيين على الساحل الغربي للبحر الأحمر – باستثناء ميناءي سواكن ومصوع – سوى نفوذ ضئيل ، إذ أن الحاكمين العثمانيين في كل من سواكن ومصوع ، لم يكونا يتمتعان بسلطة مطلقة ، سوى في الجزيرتين – مقر إقامتهما – أما الإقليم الساحلي ، فكان تحت سلطة القوى المحلية ونفوذها ، المتمثلة في أمير الأرتيقا في سواكن ، ونائب أركيكو في مصوع .
- أظهرت الدراسة أن تراخي القبضة العثمانية على السواحل الغربية للبحر الأحمر ، خاصة في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ،قد أدى إلى بروز قوة الزعماء المحليين ، الذين استغلوا تراجع نفوذ الدولة العثمانية في تلك الجهات ، فاسترعوا اهتمامها ، وثبتوا مواقعهم السياسية والإدارية والعسكرية من خلالها ، وشكلوا قوى سياسية كان لها اعتبارها داخل كيان الدولة العثمانية ، وحصلوا منها على اعتراف رسمي يبقيهم بصفتهم سلالات حاكمة في تلك الجهات ، بشرط دفع ضريبة سنوية لها .
- كشفت الدراسة أن العثمانيون بسبب سعة إمبراطوريتهم ، وانشغالهم بالحروب البرية ، وتخلفهم في التكنولوجيا الحربية لم يتمكنوا من طرد البرتغاليين من معظم المياه العربية والشرقية ، غير أن حملاتهم البحرية استطاعت – إلى حد كبير – إضعاف الاحتكار التجاري البرتغالي ، كما نجحت في المحافظة على البحر الأحمر والمدن الإسلامية المقدسة وطرق الحج ، إضافة إلى ذلك استطاعت الدولة العثمانية حماية رأس الخليج العربي من الغزو البرتغالي ، وهذا ما سمحت به أوضاع العثمانيين وإمكاناتهم المادية في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي .

ثانيا : **توصيات الدراسة** :

- إجراء المزيد من الدراسات التاريخية لولاية الحبش ودورها في تعزيز النفوذ العثماني في السواحل الغربية للبحر الأحمر ، التي لم تنل حظها من الدراسة والتحقيق بشكلٍ كافٍ، وتوجيه طلابنا وطالباتنا في الدراسات العليا إلى دراسة المواضيع المتعلقة بكافة ولايات الدولة العثمانية في المشرق

والمغرب العربي ضمن توجهات الخطط والمقررات والأبحاث المتعلقة بـ(الدولة العثمانية والعالم العربي) .

- تحفيز الاهتمام بدراسة الموانئ والمدن التاريخية القديمة مثل (مدن الطراز الإسلامي في شرق إفريقيا) من خلال تأكيد أن التراث امتداد وأساس للتطور المستقبلي، وأن التراث كلمة عامة تشمل مواقع الآثار والتاريخ الإسلامي بجميع جوانبه بما في ذلك توجهاته ومدارسه المعاصرة.
- تحفيز الاهتمام بدراسة المدن ذات التاريخ القديم العريق كمدينة هرر وبقية مدن الطراز الإسلامي ، وتفعيل مساهمتها في التنمية الثقافية والاقتصادية، كونها عنصر متجدد يستمد عراقته من الماضي ليسهم في انطلاقة حضارية عريقة وتحريك الوعي الوطني والعربي والإسلامي بصفة عامة.
- إفراد دراسات خاصة لسياسة الدولة العثمانية في شرق إفريقيا وساحل الصومال ، وأثرها في دعم العلاقات بين الكيانات الإسلامية المطلة على سواحل البحر الأحمر الشرقية والغربية في جميع الجوانب المختلفة ، من خلال البحث في الأرشيفات التاريخية – خاصة أرشيف رئاسة الوزراء في إستانبول – لاستخراج الوثائق التاريخية التي لم تظهر إلى النور بعد ، ومن ثم كشف النقاب عن المزيد من مظاهر العلاقات بين تلك الكيانات الإسلامية على سواحل البحر الأحمر الشرقية والغربية في مدة السيادة العثمانية الكاملة على البحر الأحمر خاصة في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي .

مصادر الدراسة ومراجعها

أولا : الوثائق

(أ)– الوثائق غير المنشورة :

- **الوثائق المحفوظة في أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول :**
- **تصنيف دفتر المهمة :**
  - دفتر رقم ٢٨/ ٢١٧ ، بتاريخ شهر ذي الحجة في سنة ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م .
  - دفتر رقم ٧٢/ ٣١١ ، بتاريخ شهر رمضان في سنة ١٠٠٢هـ/ ١٥٩٣م.
  - دفتر رقم ٧٢/ ٣١٢ ، بتاريخ شهر رمضان في سنة ١٠٠٢هـ/ ١٥٩٣م.
- **تصنيف كامل كبجي :**
  - وثيقة رقم ١٠٨/٢١١ ، بتاريخ شهر رجب في سنة ٩٦١هـ/ ١٥٥٣م.

- وثيقة رقم ٢٢٥/ ٣٠٤، بتاريخ شهر ربيع الأول في سنة ٩٨١هـ/ الموافق شهر يوليو في سنة ١٥٧٣م.
- وثيقة رقم ٨٦/ ٣٠٣ ، بتاريخ شهر ربيع الأول في سنة ٩٨٤هـ/ ١٥٧٦م .

(ب)- الوثائق المنشورة:

- **السالنامة الحجازية** .ط٢.مكة المكرمة : المطبعة الميرية، ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م .

ثانيا: المصادر:

(أ)- المصادر العربية:

- الأتابكي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردي (٨١٣- ٨٧٤هـ/ ١٤١٠- ١٤٧٠م) .

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. تحقيق .شلتوت، فهيم محمد. محرز، جمال محمد. القاهرة : الهيئة العامة للكتاب، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م ، ج١٤- ١٥.

- ابن إياس ، محمد بن أحمد (٨٥٢- ٩٣٠هـ/ ١٤٤٨- ١٥٢٤م) .

بدائع الزهور في وقائع الدهور .تحقيق .زيادة ، محمد مصطفى . القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ، ج٥ .

- الجزيري، عبد القادر بن محمد بن عبد القادر الأنصاري (٩١١- ٩٧٧هـ/ ١٥٠٥- ١٥٧٠م).

درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المكرمة المعظمة .ط١.الرياض : دار اليمامة ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ، ج٢ .

- الحيمي ، الحسن بن أحمد بن صلاح اليوسفي .

سيرة الحبشة . تحقيق .كامل ، مراد .ط٢ . بيروت : دار اليمنية للنشر والتوزيع ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .

- السخاوي ، محمد بن عبد الرحمن بن محمد شمس الدين (٨٣١- ٩٠٢هـ/ ١٤٢٧- ١٤٩٦م) .

التبر المسبوك في ذيل السلوك .القاهرة : د.ن ، د.ت .

- الطبري ، محمد بن علي بن فضل (١١٠٠- ١١٧٣هـ/ ١٦٨٨- ١٧٦٠م) .

تاريخ مكة المكرمة المسمى (إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن) تحقيق . سليم ، محسن محمد حسن .ط١. القاهرة : دار الكتاب الجامعي ، د.ت ، ج١ .

- فقيه ، شهاب الدين أحمد بن عبد القادر عرب .

تحفة الزمان أو فتوح الحبشة . نشره مع مقدمة بالفرنسية . باسيه، رينيه . حققه . شلتوت ، فهيم محمد . القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م . ج١.

- القلقشندي ، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (٧٥٦- ٨٢١هـ/ ١٣٥٥- ١٤١٨م).

صبح الأعشى في صناعة الإنشا . القاهرة : د.ن ، ١٣٢٨هـ/ ١٩١٩م . ج٥.

- المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي (٧٦٦- ٨٤٥هـ/ ١٣٦٥- ١٤٤١م).

- **الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام** .القاهرة : د.ن ، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م .
- **السلوك لمعرفة دول الملوك** . صححه ونشره . زيادة ، محمد مصطفى . القاهرة : د.ن ، ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م .

- الملواني ، يوسف (....- بعد سنة ١١٣١هـ-/ .....- بعد سنة ١٧١٨م).

تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب .تحقيق . هلال ، أحمد . عيسى ، عبد الرزاق عبد الرزاق . ط١. القاهرة : العربي للنشر والتوزيع ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م .

- النهروالي ، قطب الدين محمد بن أحمد بن محمد (٩١٧- ٩٩٠هـ/ ١٥١١- ١٥٨٢م).

البرق اليماني في الفتح العثماني . الرياض : دار اليمامة ، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

(ب)- المصادر المعربة :

- برنار ، صامويل (من علماء الحملة الفرنسية على مصر) .

((الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر – الموازين والنقود)) **ضمن كتاب وصف مصر** . ترجمة . الشايب ، زهير . القاهرة : مكتبة مدبولي ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م ، ج٣.

- تخسيرا ، بيدروا (مرافق للحملة البرتغالية في سنة ٩٩٦هـ/ ١٥٨٧م) .

تاريخ الخليج والبحر الأحمر . ترجمة .أمين ، عيسى . د.م : مؤسسة الأيام للصحافة والنشر ، د.ت .

ثالثا: المراجع:

(أ)- المراجع العربية:

- أباظة، فاروق عثمان (الدكتور) .

أثر تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح على مصر وعالم البحر المتوسط أثناء القرن السادس عشر. الإسكندرية : دار المعارف ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

- أنيس، محمد (الدكتور) .

الدولة العثمانية والشرق العربي (١٥١٤- ١٩١٤م). القاهرة : جامعة عين شمس، مكتبة سعيد رأفت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

- البحراوي، محمد عبد اللطيف (الدكتور) .

فتح العثمانيون عدن وانتقال التوازن الدولي من البر إلى البحر. ط١. القاهرة : دار التراث، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

- بطي، محمد عبيد.

الصراع العثماني البرتغالي في القرن السادس عشر. د.م : د.ن ، د.ت .

- جرادات ، وليد محمد .

الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضي والحاضر . الدوحة : دار الثقافة ، د.ت.

- جوهر، حسين محمد.

الحبشة. ط١. القاهرة : مطبعة مصر، د.ت .

- الجوهري، يسري عبد الرازق (الدكتور) .

الكشوف الجغرافية. بيروت: دار النهضة العربية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- حافظ ، صلاح .

صراع القوى العظمى حول القرن الأفريقي . الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب .١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

- حراز، السيد رجب (الدكتور).

أرتيريا الحديثة (١٥٥٧- ١٩١٤م). القاهرة : جامعة الدول العربية ، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م .

- حنظل، فالح .

العرب والبرتغال في التاريخ ٩٢-١١٢٤هـ/٧١١- ١٧٢٠م. ط١. أبو ظبي: منشورات المجتمع الثقافي، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م .

- رضوان، نبيل عبد الحي (الدكتور).

جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث. ط١. مكة المكرمة: مكتبة الطالب الجامعي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

- رمضان، مصطفى محمد (الدكتور) .

العالم الإسلامي في التاريخ الحديث والمعاصر. القاهرة : دار الوفاء للطباعة والنشر، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ،ج٢.

- رياض ، زاهر (الدكتور).
  - **استعمار القارة الإفريقية واستقلالها** . ط١. القاهرة : دار المعرفة ، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.
  - **الإسلام في أثيوبيا في العصور الوسطى** . ط١. القاهرة : دار المعرفة ، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.
- سالم ، حمدي السيد .

الصومال قديما وحديثا . الصومال : وزارة الاستعلامات، د.ت ، ج١.

- سالم ، السيد مصطفى (الدكتور) .

الفتح العثماني الأول لليمن (١٥٣٨- ١٦٣٠م) . القاهرة : جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م .

- سليمان، أحمد السعيد (الدكتور).

تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل. القاهرة : دار المعارف، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

- صابان ، سهيل (الدكتور).

المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية . الرياض : مطبوعات الملك فهد الوطنية ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .

- صبري ، محمد .

مصر في إفريقيا الشرقية (هرر- زيلع- بربرة) . القاهرة : مطبعة مصر ، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م .

- الصيرفي ، نوال حمزة.

النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي . الرياض : مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

- عابدين ، عبد المجيد (الدكتور).

بين الحبشة والعرب .القاهرة : دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، د.ت.

- العارف ، ممتاز .

الأحباش بين مأرب وأكسوم . بيروت : المكتبة العصرية ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م ، ج١.

- عاشور ، سعيد عبد الفتاح (الدكتور).

أوروبا في العصور الوسطى . التاريخ السياسي . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م ،ج ١.

- عثمان ، سعيد حسين . الجميحي ، عبد المنعم إبراهيم .

الاعتداءات على الحرمين الشريفين عبر التاريخ. ط١. د.م: د.ن، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

- العراقي، السر سيد .

الإسلام والصليبيون في سواحل إفريقيا. د.م: د.ن ، ١٤٠٩- ١٤١٠هـ/ ١٩٨٨-١٩٨٩م .

- عمار، حامد.

علاقة مصر بالدول الإفريقية في العصور الوسطى . ط١. د.م : مكتبة الدار العربية للكتاب، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م .

- غسان ، الرمال .

صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر خلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي . جدة : دار العلم للطباعة والنشر ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م .

- غيث ، فتحي .

الإسلام والحبشة عبر التاريخ . د.م : د.ن ، د.ت .

- الفنائي ، أحمد الجنى .

الجواهر الحسان في تاريخ الأحباش . القاهرة : د.ن ، ١٣٢١هـ/ ١٩٢١م .

- قاسم ، جمال زكريا (الدكتور) .

أصول العلاقات التاريخية الإفريقية . القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .

- مراد ، محمد عدنان .

صراع القوى في المحيط الهندي والخليج العربي . د.م : دار دمشق ، د.ت .

- يحيى ، جلال (الدكتور) .

تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر . الإسكندرية : د.ن ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م .

- اليوسف ، محمد الطيب بن محمد بن يوسف .

أثيوبيا والعروبة والإسلام عبر التاريخ . مكة المكرمة : المكتبة المكية ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م ، ج١ .

(ب)- المراجع المعربة :

- أوغلو ، عبد القادر ده ده .

السلاطين العثمانيون . ترجمة . جان ، محمد . تونس : دار سحنون للنشر والتوزيع ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .

- إيفانون ، نيقولاي .

الفتح العثماني للأقطار العربية (١٥١٦- ١٥٧٤م) .ترجمة . عطا الله ، يوسف . بيروت : دار الفارابي ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

- كرفجال، مارمول .

إفريقية. ترجمة. محمد، حجي و(آخرون). الرباط : مكتبة المعارف، د.ت ، ج٣ .

- لوليفر، رولاند .فيج، جون .

موجز تاريخ إفريقية. ترجمة. صادق ، دولت أحمد. القاهرة: معهد الدراسات العربية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت .

- المكي ، محمد الأمين .

خدمات العثمانيين في الحرمين الشريفين ومناسك الحج . ترجمة . مخلوف ، ماجدة . ط٢. القاهرة : دار الآفاق العربية ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م .

- هاد ، سونيا .ي .

في طلب التوابل . ترجمة . رفعت ، محمد عزيز . القاهرة : مكتبة نهضة مصر ، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م .

رابعا : البحوث المنشورة :

- دياب ، أحمد إبراهيم (الدكتور).

((العلاقة بين جدة وسواكن التي كانت تابعة لولاية جدة في فترة الحكم العثماني)) **ضمن البحوث المقدمة للندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ شبه الجزيرة العربية** . الرياض: جامعة الرياض، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ج.٢

- الشناوي، عبد العزيز محمد (الدكتور) .

((المراحل الأولى للوجود البرتغالي في شرق الجزيرة)) **ضمن الحوث المقدمة إلى مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة** .الدوحة: د.ن ، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م .

- قاسم ، جمال زكريا (الدكتور).

((الصراعات المحلية والدولية في البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي)) **ضمن بحوث ندوة البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة** . سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث . القاهرة : جامعة عين شمس، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

- القيسي، عبد الوهاب .

((المجابهة البرتغالية العثمانية في المياه العربية)) **ضمن بحوث ندوة رأس الخيمة التاريخية بعنوان (الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي)** . رأس الخيمة : مطبعة النخيل ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ، ج١ .

خامسا : المطبوعات الحكومية :

- **المسح الشامل لجمهورية الصومال الديمقراطية** . بغداد : معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م .

سادسا : الرسائل الجامعية غير المنشورة :

- بابكور ، عمر سالم .**حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشريفين في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي** . رسالة ماجستير . مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م .
- المالكي ، محمد ضيف الله عزيز . **العثمانيون والبحر الأحمر (٩٢٣- ١٠٤٥هـ/ ١٥١٧- ١٦٣٥م)** . رسالة ماجستير . الإسكندرية : جامعة الإسكندرية ، كلية الآداب ، قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م .

سابعا : الدوريات العلمية :

- زغلول ، سعد (الدكتور).
((البرتغاليون والبحر الأحمر)) **مجلة الدارة** ، س١ ، ع ٢، (ربيع الأول ١٤٠١هـ/ يناير ١٩٨١م) .
- الصواف ، فائق بكر (الدكتور) . رمضان ، مصطفى محمد (الدكتور).
((أهمية ثغر جدة في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي)) **مجلة الدارة** ، س٦، ع٢،(ربيع ألأول ١٤٠١هـ/ يناير ١٩٨١م) .
- عبد الكريم ، الأمين .
((الصراع بين القوى الإسلامية والمسيحية في أثيوبيا إلى نهاية القرن التاسع عشر)) **مجلة دراسات إفريقية** . المركز الإسلامي الإفريقي ، الخرطوم ، ع١ ، (رجب ١٤٠٥هـ/ أبريل ١٩٨٥م) .
- العيدروس ، محمد (الدكتور).
((دوافع وأهداف السياسة البرتغالية تجاه مدخل الخليج العربي والبحر الأحمر في النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي)) **المجلة التاريخية المغاربية – العهد الحديث والمعاصر** . س٩ ، ع ٦٧- ٦٨ ،(١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).
- قاسم ، جمال زكريا (الدكتور) .
((الممالك الإسلامية في الحبشة كانت شيعا ثم طواها الزمان)) **مجلة العربي . الكويت**، ع ١٧٨ ، (شعبان ١٣٩٣هـ/ سبتمبر ١٩٧٣م) .

- محمد ، السيد أحمد جماله .

((فتوحات الإمام أحمد بن إبراهيم القرين (جرى) ١٥٢٧– ١٥٤٣م في القرن الإفريقي)) **مجلة الفتح العربي** . الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب ، س١٦، ع ٤١–٤٢ ، (١٤١١هـ/ ١٩٩٠م) .

- متولي، أحمد فؤاد (الدكتور).

((البحرية العثمانية والبرتغالية في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي على ضوء الوثائق التركية)) **مجلة كلية العلوم الاجتماعية.** جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ع٤ ، (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) .

ثامنا : المراجع الأجنبية :

(أ)– المراجع الإنجليزية :

- A.Kanner Albert . **lamer rouge,lAbyssinie et L Arabie depuis LA nticiute, ti,11 Le caire, LImprimerie de LInstitut francais d Archeologic Orientale.** Pour Societe Royal de Geographie Egypte , 1928-1935.
- Jones, A.H.M .&nd Elzabeth Monroe . **Ahistory of Ethiopia** . oxford, 1978.-
- J.s. Tirming ham **. Islam in Ethiopia** . oxford, 1952.-
- Longrigg. Stephen . **Ashort History of Eritrea** , U.S.A,1974.-
- M .Abir . **Ethiopia and The red sea** . london,1980.-
- Margery Perham . **The Government of Ethiopia**. 1969.-
- -Mordechai Abir . **The Era of The Princes of Challenge of Islam and The Revajion of The Christiam Empire (1769-1855)** 1974, pxix .
- S.Bovil . **The Golden Trade of the Moors** . london,1962.-

(ب)- المراجع التركية :

- باللغة التركية (بالحروف اللاتينية) :

- Gengiz Orhonlu. **Habes Eyalete** . Istanbul : Edebiyat Fakultesi Matbaa si. 1977.

الهوامش:

(١) انظر: خريطة رقم (١).

(٢) محمد، السيد أحمد جمالة "فتوحات الإمام أحمد بن إبراهيم (جرى) ١٥٢٧-١٥٤٣م في القرن الأفريقي" مجلة الفتح العربي. الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب. س١٦، ع٤١-٤٢، (١٤٤١هـ/١٩٩٠م) ص ص ٥٢-٥٤. وانظر: J.S Tirmingham: **Islam in Ethiopid**. Oxford, 1952, PP 58-60.

(٣) وصف أحمد بن علي القلقشندي هذه البلاد بقوله: "البلاد المقابلة لبر اليمن على بحر القلزم وما يتصل بها من بحر الهند ويعبر عنها بالطراز الإسلامي لأنها على جانب البحر كالطراز له، وقد تكونت إمارات الطراز هذه نتيجة زيادة عدد المسلمين في هذه المنطقة ذات الأهمية البالغة في تجارة البحر الأحمر، وقد تبلور الوجود الإسلامي بهذه المنطقة من الناحية السياسية في سبع إمارات ظهرت مع بداية القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) وهذه الإمارات هي أوفات ودوارو وآرايني وهادية وشرحا وبالي وداره....".

(انظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء. القاهرة: د.ن، ١٣٢٨هـ/١٩١٩م، جـ٥، ص ص ٣٢٤-٣٣٠) وتقع إمارة أوفات غربي ميناء زيلع. وهي من أقوى الإمارات الإسلامية، وقد أسسها قوم من قريش، أما إمارة دوارو فتقع على الحدود الغربية لإمارة أوفات، بينما تقع إمارة أرابيني في الشمال الغربي من بحير كانا، وكما تقع إمارة هاديه جنوب إمارة إيفات، بينما تقع إمارة شرحا غرب إمارة إيفات بين إمارتي هادية، ودوارو، وتقع إمارة بالي جنوب إمارة دوارو، أما إمارة دارة فهي من أضعف الإمارات الإسلامية في شرق إفريقيا، هذا إلى جانب إمارات إسلامية أخرى، مثل: إمارة عدل، وإمارة فتاجار، وإمارة موره، وإمارة شوا. انظر: الرمال، غسان علي محمد. صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي. جدة: دار العلم للطباعة والنشر، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ص ص ١٥٢-١٥٣ وانظر: خريطة رقم (١).

(٤) قبائل العفر (الدناكل): هي قبيلة من القبائل العربية القديمة التي نزحت من جنوب شبه الجزيرة العربية إلى أفريقيا الشرقية، ويسميها الأحباش تارة باسم (الدناكيل) نسبة إلى ملك كان يحكم المثلث العفري اسمه دنكلي بن ملكان، وتارة باسم (العفر)، والعفر هم المعافرة وهي بطن من مهرة بن حيدان قضاعة حمير من القحطانية من مهرة باليمن، نزحوا من اليمن إلى القرن الإفريقي منذ أكثر من أربع مئة سنة واستقروا في تلك المنطقة (إريتريا، أثيوبيا، جيبوتي) وكانوا يدينون بالوثنية قبل الإسلام، ثم اعتنقوا الإسلام، وكانت هجرتهم الأولى إلى الحبشة بقيادة جعفر الطيار، وكان لهم سلطان وإمارات تحكم قبائل العفر المترامية الأطراف، وكانت هذه الإمارات مستقلة استقلالاً تاماً عن الحبشة. لمزيد من

المعلومات انظر: اليوسف، محمد الطيب بن محمد بن يوسف. أثيوبيا والعروبة والإسلام عبر التاريخ. مكة المكرمة: المكتبة المكية، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، جـ١، صفحات متفرقة.

(٥) عمار، حامد. علاقة مصر بالدول الإفريقية في العصور الوسطى. ط١، د.م: مكتبة الدار العربية للكتاب، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص ٣٠.

(٦) عبدالكريم، الأمين "الصراع بين القوى الإسلامية والمسيحية في أثيوبيا إلى نهاية القرن التاسع عشر" مجلة دراسات إفريقية. المركز الإسلامي الإفريقي، الخرطوم، ع١ (رجب ١٤٠٥هـ/أبريل ١٩٨٥م)، ص ٥٠.

(٧) هرر: مدينة إسلامية، وهي إحدى مقاطعات الصومال الغربي المسمى بـ (الأوجادين) (انظر: حافظ، صلاح. صراع القوى العظمى حول القرن الإفريقي. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص٢٧) بدأ ظهورها بوصول الهجرات العربية إليها من اليمن وحضرموت حاملين معهم الإسلام في القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، وكان موقعها ذا أهمية كبيرة بالنسبة للحبشة، حيث تُعد سوقاً ومنفذاً لتصريف منتجات الحبشة واستيراد ما تحتاج إليه من جهات أخرى. انظر: بابكور، عمر سالم. حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشريفين في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي. رسالة ماجستير: مكة المكرمة، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ص ٢١٢.

(٨) كانت هناك ممالك إسلامية أخرى بخلاف الممالك المذكورة أعلاه من بينها ممالك شرحا وموره ودارة، وقد عرفت جميع هذه الممالك الإسلامية التي ظهرت في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي في مصر وبلاد الشام بـ (بلاد زيلع). انظر: القلقشندي. مصدر سبق ذكره، جـ٥، ص ص ٣٢٤-٣٢٩. الغنائي (أحمد الجنى). الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان. القاهرة: د.ن، ١٣٢١هـ/١٩٢١م، صفحات متفرقة.

وانظر: خريطة رقم(١) .J.S Trimingham. op.cit., pp 66-69

(٩) القلقشندي. مصدر سبق ذكره، جـ٥، ص ص ٣٣٢-٣٣٣ وص ص ٣٣٦-٣٣٧. وانظر:

Mordechai Abir. **The Era of the Princes of Challenge of Islam and the Revision of the Christian Empire (1789-1852),** 1974, p xix.

(١٠) القلقشندي. مصدر سبق ذكره. جـ٥، ص ص ٣٢٤-٣٣٠. وانظر: المقريزي، تقي الدين أحمد. الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام. القاهرة: د.ن، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ص ص ١٢٥-١٣٠.

(١١) السلطان برسباي: هو السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر برسباي الدقماقي الظاهري، جركسي الأصل، اشتراه نائب ملطية دقماق المحمدي، ثم قدمه إلى السلطان الظاهر برقوق (٧٨٤-٧٩٠هـ/١٣٨٢-١٣٨٨م) - (٧٩٢-٨٠١هـ / ١٣٨٩-١٣٩٨م) وأصبح من جملة المماليك الجراكسة

حتى تولى السلطنة في سنة ٨٢٥هـ/١٤٢٢م، وتوفي في سنة ٨٤١هـ/١٤٣٨م. انظر: الأتابكي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. تحقيق شلتوت، فهيم محمد. محرز، جمال محمد. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ج١٤، ص ص ٢٤٢-٣٧٣، وج١٥، ص ص ٧-٢١.

(١٢) المقريزي. السلوك لمعرفة دول الملوك. القسم الأول صححه ونشره. زيادة، محمد مصطفى. القاهرة: د.ت، ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م، جـ٤، ص ص ٤٩٣-٤٩٤. وانظر: عابدين، عبدالمجيد. بين الحبشة والعرب. القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، د.ت، ص ص ١٧٩-١٨٢.

(١٣) السخاوي، محمد بن عبدالرحمن بن محمد شمس الدين. التبر المسبوك في ذيل السلوك. القاهرة: د.ن، د.ت، ص ص ٧١-٧٢. وانظر: عابدين، عبدالمجيد. مرجع سبق ذكره، ص ص ١٨٤-١٨٥.

(١٤) غيث، فتحي. الإسلام والحبشة عبر التاريخ. د.م : د.ن، د.ت، ص ١٤٨.

(١٥) الإمام محفوظ: كان أميراً لمنطقة هور، ثم أصبح حاكماً لزيلع في سلطنة عدل، لُقب بـ (قائد زيلع) واشتهر بدوره في توسيع نفوذ سلطنة عدل وتوحديها، قاد حركة الجهاد الإسلامي ضد مملكة الحبشة المسيحية آنذاك، وهو والد (دولبنرة) زوجة الأمير أحمد بن إبراهيم القرين. انظر: عابدين، عبدالمجيد. مرجع سبق ذكره، ص ص ١٨٢-١٨٤.

(١٦) المرجع السابق، ص ص ١٨٤-١٨٥.

(١٧) العيدروس، محمد "دوافع وأهداف السياسة البرتغالية تجاه مدخل الخليج العربي والبحر الأحمر في النصف الأول من القرن السادس عشر" المجلة التاريخية المغاربية – العهد الحديث والمعاصر. س ١٩، ع٦٧-٦٨ (١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ص ٣٩٨.

(١٨) المرجع السابق، ص ٣٩٩.

(١٩) لمعرفة المزيد عن دوافع السياسة البرتغالية وأهدافها. راجع. العيدروس، محمد. مرجع سبق ذكره، ص ص ٣٩٤-٤٠٧.

(٢٠) سورة البقرة. آية رقم (١٢٠).

(٢١) مراد، محمد عدنان. صراع القوى في المحيط الهندي والخليج العربي. د.م: دار مشق، د.ت، ص ١٥٧.

(٢٢) Prester-John: بمعنى القس، والقديس يوحنا شخصية خرافية كان أهل أوروبا يعتقدون بوجودها وأنه يحكم إمبراطورية واسعة في آسيا، غير أن أهل أوروبا في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، وجدوا أن المقصود بهذه الشخصية ملك الحبشة المسيحي. انظر: فقيه، شهاب الدين أحمد بن عبدالقادر عرب. تحفة الزمان أو فتوح الحبشة، نشره مع مقدمة بالفرنسية. باسيه، رينيه. حققه. شلتوت، فهيم محمد. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، جـ١، ص ٤٠.

S.B ovil. **The Golden Trade of the Moors**. London, 1962, P92.

(٢٣) البحراوي، محمد عبداللطيف. فتح العثمانيون عدن وانتقال التوازن الدولي من البر إلى البحر. ط١. القاهرة، دار التراث، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص ٦١.

(٢٤) كرفجال، مارمول. إفريقية. ترجمة. محمد حجي (وآخرون)، الرباط: مكتبة المعارف، د.ت، جـ٣، ص ص ٢٦٣-٢٦٤. وانظر: الجوهري، يسري عبدالرازق. الكشوف الجغرافية. بيروت: دار النهضة العربية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص ١٣٣ وانظر: خريطة رقم (١).

(٢٥) لمعرفة المزيد عن الحروب الصليبية ودوافعها في الشرق الأدنى. انظر: عاشور، سعيد عبدالفتاح. أوروبا في العصور الوسطى. التاريخ السياسي. القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م، جـ١، ص ص ٤٣٦-٤٦٤.

(٢٦) من مخططات البرتغاليين الصليبية في البحر الأحمر، الوصول إلى جدة، مركز المقاومة الإسلامية، والقاعدة العسكرية الأولى، ومن ثم الولوج منها إلى مكة المكرمة؛ لهدم الكعبة المشرفة، ويؤكد ذلك ما قاله القائد البرتغالي البوكيرك Alburquerque في أحد رسائله لحكومة الحبشة بقوله: ((يكون من السهل تجهيز خمس مئة فارس برتغالي بمعداتهم للنزول في جدة، ومن هناك ينتقلون إلى مكة، وهي رحلة يوماً ليجعلوها رمادا)). (انظر: عثمان، سعيد بن حسين. الجميعي، عبدالمنعم إبراهيم. الاعتداءات على الحرمين الشريفين عبر التاريخ. ط١. د.م: د.ن، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص ص ٧٨-٧٩) ثم السير من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة حيث قبر الرسول -ﷺ- لنبشه، ثم مواصلة الزحف منها إلى تبوك ومنها إلى بيت المقدس، حيث يوجد المسجد الأقصى وقبة الصخرة، ومن ثم الانتقام للهزائم التي تعرض لها الصليبيون في بلاد الشام (انظر: الشناوي، عبدالعزيز محمد. ((المراحل الأولى للوجود البرتغالي في شرق الجزيرة)) ضمن البحوث المقدمة إلى مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة. الدوحة: د.ن، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، ص ص ٦٥٣-٦٧٦)، كما أنه من ضمن مخططاتهم الصليبية بالإضافة إلى مهاجمة الحجاز، مهاجمة مصر واليمن وإغلاق البحر الأحمر في وجه السفن الإسلامية من ميناء الطور شمالاً حتى مضيق باب المندب جنوباً (انظر: زغلول، سعد ((البرتغاليون والبحر الأحمر)) مجلة الدارة، س ٦، ع٢ (ربيع الأول ١٤٠١هـ/يناير ١٩٨١م) ص٩. رمضان، مصطفى محمد. العالم الإسلامي في التاريخ الحديث والمعاصر. القاهرة: دار الوفاء للطباعة والنشر، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، جـ٢، ص٨٤) ومن ثم الوصول إلى مصر وتغيير مجرى النيل باتجاه البحر الأحمر حتىُ تحرم مصر من موردها المائي المهم فيتم هلاكها (انظر: هاد، سونيا. ي. في طلب التوابل.ترجمة. رفعت، محمد عزيز. القاهرة. مكتبة نهضة مصر، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م، ص ٢٢٦). ومن الجدير بالذكر أن تنفيذ الجزء الأكبر من تلك المخططات الصليبية البرتغالية، قام بها القائد البرتغالي

البوكيرك، عندما عُين قائدًا للأسطول البرتغالي في عام ٩٠٩هـ/١٥٠٣م، ثم عُين نائبًا للملك في الهند في سنة ٩١٥هـ/١٥٠٩م، وبالتالي عُرف بشدة تعصبه وكراهيته للعرب والمسلمين، وإذا كان البرتغاليون قد نجحوا في تحقيق معظم تلك المخططات الصليبية في المحيط الهندي والخليج العربي، فإنهم فشلوا في تحقيقها في البحر الأحمر والوصول إلى الأماكن المقدسة في الحجاز.

(٢٧) أباظه، فاروق عثمان. أثر تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح على مصر وعالم البحر المتوسط أثناء القرن السادس عشر. الإسكندرية: دار المعارف، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص١٠٨.

(٢٨) جوهر حسين محمد. الحبشة. ط١. القاهرة: مطبعة مصر، د.ت، ص ١٠٤.

(٢٩) البحراوي، عبداللطيف. مرجع سبق ذكره، ص ٦٤.

(٣٠) المرجع السابق، ص ص ٦٤-٦٥.

(٣١) السلطان قانصوه الغوري: هو الملك الأشرف أبو قنصوه الغوري، تولى السلطنة وعمره حوالي ستون عاماً، كان مهاباً جليلاً، شيد الكثير من الأعمال المعمارية في القاهرة، والتقى مع السلطان العثماني سليم الأول (٩١٨-٩٢٦هـ / ١٥١٢-١٥٢٠م) في موقعة مرج دابق في سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م، فكان وفاته تحت سنابل الخيل. انظر: ابن إياس، محمد بن أحمد. بدائع الزهور في وقائع الدهور. تحقيق. زيادة، محمد مصطفى. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ج٥، ص٨٨. الملواني، يوسف. تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب. تحقيق: هلال، عماد أحمد. عيسى، عبدالرازق عبدالرازق، ط١. القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص١٤٧.

(٣٢) Margery Perham. **The Government of Ethiopia**, London 1969, P38.

(٣٣) الرمال، غسان علي محمد. مرجع سبق ذكره، ص ص ٩٥-٩٦.

(٣٤) رضوان، نبيل عبدالحي. جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث. ط١. مكة المكرمة: مكتبة الطالب الجامعي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص ١٦٤.

(٣٥) جرادات، وليد محمد. الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضي والحاضر. الدوحة: دار الثقافة، د.ت، ص١٠٠.

(٣٦) البحراوي، محمد عبداللطيف. مرجع سبق ذكره، ص ص ٦٦-٦٧.

(٣٧) M.Abir. **Ethiopia and The Red Sea**. London, 1980, P.13.

(38) (A.Kanner. **Albert. La Mer Rouge, L'Abyssinie et L'Arabic depuis L'anticiute, t1, II Le Caire, L'Imprimerie de L'Institute Francais d'Archeologic Drientale, pour Societe Royal de Geographie Egypte**, 1928-1935, PP 6-8..) وانظر: خريطة رقم (١).

(٣٩) البحراوي، محمد عبداللطيف. مرجع سبق ذكره، ص ص ٦٨-٦٩.

(٤٠) المرجع السابق، ص ٦٩.

(٤١) الإمام أحمد القرين: هو الإمام أحمد بن إبراهيم القرين، عُرف بأحمد المجاهد، كما عُرف بالأشول، وأطلق عليه الأحباش اسم (أحمد جراد) كان ابنًا لأحد قساوسة أبيجو، ولد في مدينة هونت من أم صومالية في مقاطعة هرر، ترك موطنه ودخل الإسلام، وبدأ حياته بالإنتساب إلى أسرة أمير عدل الإمام محفوظ عندما تزوج من ابنته دولنبره (انظر: سالم، حمدي السيد. الصومال قديماً وحديثاً. الصومال: وزارة الاستعلامات، د.ت، جـ١، ص ص ٣٨٣-٣٨٥) كما تعلم من الإمام محفوظ فنون القتال، ثم قاد حركة الجهاد الإسلامي لإمارة هرر في العقد الثاني من القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، وقُتل على يد الأحباش في عام ٩٥٠هـ/١٥٤٣م. انظر: رياض، زاهر. الإسلام في أثيوبيا في العصور الوسطى. ط١. القاهرة: دار المعرفة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ص ١٩٥.

(٤٢) عابدين، عبدالمجيد. مرجع سبق ذكره، ص ص ١٨٨-٢٠٠.

(٤٣) دباروا: عاصمة إقليم ميدري بحر أو بحر مدر (أي بلاد الشاطئ المطل على البحر) وحاكمها هو البحر نجش (أي سيد أو ملك الإقليم) وهي إريتريا الحديثة. انظر: حراز، السيد رجب، إريتيريا الحديثة (١٥٥٧-١٩٤١م) القاهرة: جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ص ٣٠.

(٤٤) أوزدمير باشا: جركسي الأصل من مماليك نائب الإسكندرية في الدولة الجركسية أمير خذاوردي، وقد دخل في خدمة العثمانيين منذ أن كان عمره ثلاث عشرة سنة، وكان من المتطوعين الذين يعملون بأجور يومية، اشترك في حملة سليمان باشا الخادم (٩٣١-٩٤١هـ/١٥٢٤-١٥٣٤م)- (٩٤٣-٩٤٥هـ/١٥٣٦-١٥٣٨م) على الهند، وكان خيالاً ماهراً، أسندت إليه ولاية اليمن، وتم منحه رتبة (الباشوية) واستقر في اليمن، في حين كانت عائلته في مصر (زوجته، ووالدته، وابنه عثمان، وابنته هوما) ثم أسندت إليه نيابة جدة في سنوات ٩٦٢-٩٦٧هـ/ ١٥٥٤-١٥٥٩م، وفي سنة ٩٦٥هـ/١٥٠٧م، استولى على مصوع وسواكن، وأسس ما عُرف بـ (ولاية الحبش) وكان أول حاكماً لهذه الولاية، حتى توفي فتولاها بعد إبنه عثمان باشا.

انظر: Gengiz Orhonlu. **Habes Eyaleta** FakÜltesi Matbaas, 1977, SS33-34

وانظر: خريطة رقم (١).

(٤٥) البحراوي، محمد عبداللطيف. مرجع سبق ذكره، ص ٩٧.

(٤٦) المرجع السابق، ص ٩٨.

(٤٧) عابدين، عبدالمجيد. مرجع سبق ذكره، ص ص ٢٠٠-٣٩٥. وانظر: زاهر، رياض. استعمار القارة الإفريقية واستقلالها. ط١. القاهرة: دار المعرفة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، ص ص ١٥٢-١٥٤. غيث، فتحي. مرجع سبق ذكره، ص ص ١٥٥-١٥٨. زكريا جمال ((الصراعات المحلية والدولية في البحر الأحمر في النصف الأول من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي)) ضمن بحوث ندوة البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة. سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث. القاهرة: جامعة عين شمس، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص ص ٢٢٧-٢٣٧.

(٤٨) كانت هذه الحملة بقيادة والي مصر سليمان باشا الخادم (٩٣١-٩٤١هـ/١٥٢٤-١٥٣٤م) - (٩٤٣-٩٤٥هـ/ ١٥٣٦-١٥٣٨م) وأطلق عليها (الفتح العثماني الأول لليمن)، انظر: النهروالي، قطب الدين محمد بن أحمد. البرق اليماني في الفتح العثماني. الرياض: دار اليمامة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ص ص ٨٠-٨٧)، وقد نجحت في الاستيلاء على عدن، واتخاذها قاعدة عسكرية أمامية في جنوب البحر الأحمر؛ للدفاع عن أمن الحرمين الشريفين والبحر الأحمر من ناحية، ولمواجهة الخطر البرتغالي في مياه المحيط الهندي من ناحية أخرى، ومن أهم نتائجها إخضاع السواحل اليمنية من عدن جنوباً حتى جازان شمالاً، ومن ثم تدعيم السيطرة العثمانية وإحكام قبضتها على سواحل البحر الأحمر الجنوبية والشرقية. وللمزيد من المعلومات عن تفاصيل الحملة ونتائجها. انظر: سالم، السيد مصطفى. الفتح العثماني الأول لليمن (١٥٣٨-١٦٣٠م) ط١. القاهرة: جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ص ص ١٥٤-١٩٧.

(٤٩) بعد هزيمة الصفويين في موقعة (جالديران) في سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م، على يد العثمانيين، عزموا على الانتقام منهم، بنشر المذهب الشيعي في بلاد العراق والشام ومصر، وتحطيم الأساطيل العثمانية في السواحل العربية بالتحالف مع البرتغاليين، ولذلك نص الاتفاق الذي جرى بين الشاه إسماعيل الصفوي (٩٠٧-٩٣١هـ/ ١٥٠١-١٥٢٤م) والقائد البرتغالي البوكيرك Alburquerqu على أن يقوم البرتغاليون بإمداد الصفويين بالسفن الحربية، وتدريبهم على استخدام الأسلحة الحديثة؛ لاحتلال البحرين والقطيف مقابل التنازل للبرتغاليين عن ميناء جوادر (على ساحل بلوخستان) وعن هرمز، وقد انفض هذا الاتفاق بموت القائد البرتغالي البوكيرك. انظر: عثمان، سعيد بن حسين. الجميعي، عبدالمنعم إبراهيم. مرجع سبق ذكره، ص ص ٧٠-٧٣.

(٥٠) أنيس، محمد. الدولة العثمانية والشرق العربي (١٥١٤-١٩١٤م) القاهرة: جامعة عين شمس، مكتبة سعيد رأفت، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص ص ٢٩-٣٠.

(٥١) العارف، ممتاز. الأحباش بين مأرب وأكسوم. بيروت: المكتبة العصرية، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، جـ١، ص ٨٥.

([٥٢]) المسح الشامل لجمهورية الصومال الديمقراطية. بغداد: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م، ص١٠٢.

([٥٣]) المرجع السابق، الصفحة ذاتها.

([٥٤]) غيث، فتحي. مرجع سبق ذكره، ص ص ١٥١-١٥٢.

([٥٥]) العارف، ممتاز. مرجع سبق ذكره، جـ ١، ص ٨٧.

([٥٦]) يحيى، جلال. تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر. الإسكندرية: د.ن، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ص ١٠٦.

([٥٧]) رياض، زاهر. مرجع سبق ذكره، ص ٩٥.

([٥٨]) قبائل الجالا: هي قبائل حبشية، تقطن جنوب الحبشة بالقرب من مدينة هرر، وتتصف بالوحشية وشدة البأس، وصل إليها الإسلام منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، بعد ظهور الإمارات الإسلامية في شرق إفريقيا، وفي الجنوب الشرقي من الحبشة، ودعَّم هذا الوجود الإسلامي، هجرة بعض الجماعات الإسلامية إليها، وتأسيس الإمارات الإسلامية، وعندما سيطرت قبائل الجالا على الحكم في تلك الجهات، انتشر الإسلام بين قبائل التيجرى في القسم الشمالي من هضبة الحبشة، كما كان لغزوات أحمد القرين في إمارة هرر، أكبر الأثر في نشر الإسلام بين قبائل الجالا والشعوب المجاورة، هذا إلى جانب الجهود التي قام بها التجار المسلمون، الذين كانوا يترددون على بلاد الحبشة للبيع والشراء. للمزيد من المعلومات. انظر: عابدين، عبدالمجيد. مرجع سبق ذكره، ص ص ١٨٦-٢٠١.

([٥٩]) غيث، فتحي. مرجع سبق ذكره، ص ١٥٣. وانظر: J.S. Tirraing ham, Op.Cit., p76

([٦٠]) المرجع السابق، ص ١٥٣.

([٦١]) رياض، زاهر، مرجع سبق ذكره، ص ٢٠٥.

([٦٢]) غيث، فتحي. مرجع سبق ذكره، ص ١٥٤.

([٦٣]) لوليفر، رولاند. فيج جون. موجز تاريخ إفريقية. ترجمة. صادق، دولت أحمد. القاهرة: معهد الدراسات العربية، الدار المصرية للتأليف والترجمة. د.ت ، ص ١٠٧.

([٦٤]) العراقي، السر سيد. الإسلام والصليبيون في سواحل إفريقيا. د.م: د.ن، ١٤٠٩هـ- ١٤١٠هـ/ ١٩٨٨-١٩٨٩م، ص٢٣٩.

([٦٥]) الحيمي، الحسن بن أحمد بن صلاح اليوسفي. سيرة الحبشة، تحقيق. كامل، مراد، ط٢. بيروت: دار النهضة للنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ٢٢ وانظر:

Jones, A.H.M. 8nd Elzabeth Monroe. **A history of Ethiopia**. Oxford, 1978, P.40.

(٦٦) سليمان باشا الخادم: تولى حكم ولاية مصر، وكان أول الولاة في طول مدة حكمه لمصر، حيث استمر واليًا على مصر ثلاث عشرة سنة؛ وذلك لحسن سيرته، ومعاملته العادلة للرعية، وكثرة أعماله الخيرية في مصر. انظر: الملواني، يوسف. مصدر سبق ذكره، ص ص ٢١٩-٢٢٠.

(٦٧) حنظل، فالح. العرب والبرتغال في التاريخ ٩٢-١١٢٤هـ/٧١١-١٧٢٠م. ط١. أبو ظبي: منشورات المجتمع الثقافي، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص٣٥٩.

(٦٨) غيث، فتحي. مرجع سبق ذكره، ص ١٥٦.

(٦٩) المرجع السابق، الصفحة ذاتها.

(٧٠) صبري، محمد. مصر في إفريقيا الشرقية (هرر- زيلع – بربرة). القاهرة: مطبعة مصر، ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م، ص ٢٣.

(٧١) رياض، زاهر. مرجع سبق ذكره، ص ٢٥١.

(٧٢) قاسم، جمال زكريا "الممالك الإسلامية في الحبشة كانت شيعاً ثم طواها الزمان" مجلة العربي. الكويت، ع١٧٨، (شعبان ١٣٩٣هـ/سبتمبر ١٩٧٣م)، ص ١٠٤.

(٧٣) رياض، زاهر. مرجع سبق ذكره، ص ٨٢.

(٧٤) مصطفى النشار: هو مصطفى بن عبدالله الرومي الشهير بـ (النشار) كاشف الغربية بمصر، تولى إمارة الحج أربع مرات؛ إذ مكث فيها خمسة عشر سنة، حيث كانت آخر حجة له في سنة ٩٦١هـ/١٥٠٣م، ثم وصله الأمر السلطان يتولى اليمن بدلاً من أوزدمير باشا (٩٥٦-٩٦٢/١٥٤٩-١٥٥٤م) وقد اشتهر بشجاعته وشدة بأسه؛ لأنه كان ينشر السارق بالمنشار إلى شقين. انظر: الجزيري، عبدالقادر بن محمد بن عبدالقادر الأنصاري. درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المكرمة المعظمة. ط١. الرياض: دار اليمامة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، جـ٢، ص ٨٣٢، وص ص ٨٤٢-٨٤٤ وص ٨٦٣ وص ٨٩٣-٨٩٥ وص ٩١٧، وص ٩٢٨.

(٧٥) Gengiz Orhonlu. a.g.e, ss 24-25, S28.

(٧٦) الشريف أبو نمي: هو الشريف محمد بن أبي نمي بن بركات بن محمد بن بركات، تولى حكم إمارة مكة المكرمة بالاشتراك مع أبيه في سنة ٩١٨هـ/١٥١٢م، ثم انفرد بالحكم بعد وفاة أبيه في سنة ٩٣١هـ/١٥٢٤م، كان شجاعاً مهيباً ذا عقل راجح، وإدارة حازمة، توفي في سنة ٩٩٢هـ/١٥٨٤م، وله من العمر ثمانون سنة. انظر: الطبري، محمد بن علي بن فضل. تاريخ مكة المكرمة المُسمَّى (إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن). تحقيق سليم، محسن محمد حسن. ط١. القاهرة: دار الكتاب الجامعي، د.ت، ج١، ص ٣٣١ و ص٤٢٤ وص ٥٥٩.

(٧٧) غيث، فتحي. مرجع سبق ذكره، ص ١٥٦.

(٧٨) أرجع بعض الباحثين سبب إعادة أحمد القرين القوات العثمانية لليمن إلى خلاف وقع بينه وبين القوات العثمانية؛ بسبب استعجال أحمد القرين بقتل القائد البرتغالي كريستوفر دي جاما، في حين كان الجنود العثمانيون يرون إرساله حياً إلى إستانبول؛ للتدليل على جهودهم في مقاومة التحالف الحبشي البرتغالي، بالإضافة إلى خلافهم في توزيع الأموال، وخوف الأمير أحمد من سيطرة الأتراك العثمانيين على بلاده. انظر: زكريا، جمال. الصراعات الدولية والمحلية في البحر الأحمر في النصف الأول من القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، ص ٢٣٨، وانظر: الرمال، غسان. مرجع سبق ذكره، ص ٢٦١.

(٧٩) العارف، ممتاز. مرجع سبق ذكره، جـ١، ص ٨٩.

(٨٠) حافظ، صلاح، مرجع سبق ذكره، ص ٢٦١.

(٨١) العارف، ممتاز. مرجع سبق ذكره، جـ١، ص ص ٨٤-٩٠.

(٨٢) الحيمي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦. وانظر: رياض، زاهر. مرجع سبق ذكره، ص ٢٢٦.

(٨٣) J.S.Tir mingham op.cit., p89.

(٨٤) غيث، فتحي. مرجع سبق ذكره، ص ١٥٧.

(٨٥) J.S.Trimingham.Op.cit., P.85.

(٨٦) غيث، فتحي. مرجع سبق ذكره، ص ١٦٠.

(٨٧) J.S.Trimingham. Op. Cit., P. 86.

(٨٨) العارف، ممتاز، مرجع سبق ذكره، جـ١، ص ص ٩٠-٩١.

(٨٩) غيث، فتحي. مرجع سبق ذكره، ص ١٦٠.

(٩٠) ولاية الحبش: أطلقت على المناطق الممتدة عبر الساحل الغربي للبحر الحمر من مصوع إلى سواكن، وسميت بهذا الاسم لأنهما كانتا الميناءين الوحيدين للسودان والحبشة على الساحل الغربي للبحر الأحمر، ولا يقصد بها بلاد الحبشة ذاتها، التي لم تكن تابعة لها إطلاقاً. (انظر: دياب، أحمد إبراهيم "العلاقة بين جدة وسواكن التي كانت تابعة لولاية جدة في فترة الحكم العثماني" ضمن البحوث المقدمة للندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ شبه الجزيرة العربية. الرياض: جامعة الرياض، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، جـ٢، ص ٢٠٧). وكانت ولاية الحبش تضم في بداية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي سنجقين بحريين هما: سنجقا سواكن ومصوع، وفي أواخر القرن أُلحقت بعض المناطق في سنجق أبريم، وأسوان، وصاي، وبعض السنجقيات في ولاية الصعيد بولاية الحبش. انظر: استانبول: أرشيف رئاسة الوزراء. تصنيف كامل كبجي. وثيقة رقم ٢٢٥، بتاريخ شهر ربيع الأول في سنة ٩٨١م،/ الموافق شهر يوليو في سنة ١٥٧٣م، ص ٣٠٤.

(٩١) السلطان سليمان القانوني: هو السلطان سليمان بن سليم الأول، ولد في مدينة طرابزون في سنة ٩٠١هـ/١٤٩٥م، لُقب بـ (القانوني) لأنه وضع عدة قوانين أمر بتطبيقها، ولقد سماه المؤرخون بـ (السلطان الكبير)؛ لكثرة حروبه في القارة الأوروبية، توفي في سنة ٩٧٤هـ/١٥٦٦م، وكانت مدة حكمه ست وأربعون سنة. انظر: أوغلـو، عبدالقادر ده ده. السلاطين العثمانيون. ترجمة. جان، محمد. تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص ١٠.

(٩٢) النهروالي، قطب الدين محمد. مصدر سبق ذكره، ص ١١٩.

(٩٣) إستانبول: أرشيف رئاسة الوزراء. تصنيف كامل – كبجي، دفتر رقم ١٠٨/٢١١، بتاريخ شهر رجب في سنة ٩٦١هـ/ ١٥٥٣م.

(٩٤) Longrigg. Stephen. **A Short History of Eritera**, U.S.A, 1974, P. 44

بدأ ظهور العثمانيون في سواكن في سنة ٩٢٧هـ/١٥٢٠م، حيث كانت هناك جالية عثمانية تعمل بالتجارة، ومن المؤكد أن قسماً من هذه الجالية كانت مهمته متابعة نشاط البرتغاليين في مملكة الحبشة، كما كان ميناء مصوع واحداً من أهم الموانئ التي تربط الحبشة بالبحر الأحمر، وكان البرتغاليون يؤمنون المواصلات عن طريق هذا الميناء. انظر: Gengiz Drhonlu, a.g.e., S .43.

(٩٥) Ibid, S 37.

(٩٦) Ibid, S 46.

(٩٧) غيث، فتحي. مرجع سبق ذكره، ص ١٦٠.

(٩٨) إيفانون، نيقولاي. الفتح العثماني للأقطار العربية (١٥١٦-١٥٧٤م)، ترجمة. عطا الله، يوسف. بيروت: دار الفارابي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص ١٧٠.

(٩٩) الأقجة: كلمة تركية معناها اللغوي السكة البيضاء، وهي عملة معدنية صغيرة من الفضة، وزنها ربع مثقال، وعيارها تسعون بالمئة(انظر: سليمان، أحمد السعيد. تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل. القاهرة: دار المعارف، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ٢٣) سُكَّت لأول مرة في عهد السلطان عثمان بن أورخان (٧٢٦-٧٦١هـ/ ١٣٢٥-١٣٥٩م) وقد سُميت بـ (السكة العثمانية) أو (الأقجة العثمانية) تميزاً لها عن السكة الإسلامية المستعملة في تلك الوقت، مثل: الدرهم والدينار. انظر: صابان، سهيل. مرجع سبق ذكره، ص ص ٢٠-٢١.

(١٠٠) أكياس: مفردها كيس، والكيسة وحدة نقدية حسابية عثمانية مساوية لكميات كبيرة من النفوذ وفقاً لوقت ومكان استعمالها، وهي عبارة عن كيس موحد الحجم من حيث ما يحتويه من نقد يساوي خمس مئة قرش عثماني. انظر: برنار، صامويل "الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر – الموازين

والنقود" ضمن كتاب وصف مصر. ترجمة. الشايب، زهير. القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م، جـ٣، ص ٩٢.

(١٠١) Genqiz Orhonlu. a.g.e, S42.

(١٠٢) إستانبول: أرشيف رئاسة الوزراء. تصنيف كامل كبجي. وثيقة رقم ٣٠٤/٢٢٥، بتاريخ شهر ربيع الأول في سنة ٩٨١هـ / ١٥٧٣م، ووثيقة رقم ٣٠٣/٨٦، بتاريخ شهر ربيع الأول في سنة ٩٨٤هـ/١٥٧٦م.

(١٠٣) إستانبول: أرشيف رئاسة الوزراء: تصنيف دفتر المهمة. دفتر رقم ٣١١/٧٢، بتاريخ شهر رمضان في سنة ١٠٠٣هـ/١٥٩٣م، ص ٣١٢.

(١٠٤) المصدر السابق: دفتر رقم ٣١٢/٧٢، بتاريخ شهر رمضان في سنة ١٠٠٣هـ/١٥٩٣م.

(١٠٥) سنجقية: كلمة تركية معناها اللغوي العلم واللواء الخاص بالدولة، ثم خُص بها اللواء الذي يمنحه السلطان للوالي أو الأمير، ثم تطورت فأصبحت تعني قسماً إدارياً من أقسام الدولة، وكانت الأقسام الإدارية تُرتب على هذا النحو: ناحية أي (بلدة)، قضاء، سنجق، ولاية، وكان حاكم السنجق حاكماً عسكرياً ومدنياً، وكان في بداية الدولة العثمانية الوحدة الإدارية الأساسية، حيث انقسمت الدولة إلى عدد من السناجق على رأس كل منها (سنجق بك) أي (أمير لواء) (انظر: صابان، سهيل. المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية. الرياض: مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص ١٤٦). وتقع سنجقية جدة في غرب الحجاز، ومركزها ميناء جدة، وتحدها شمالاً المدينة المنورة، وشرقاً مكة المكرمة، وغرباً البحر الأحمر، وجنوباً القنفذة، والليث، وعسير، وتضم في أطرافها رابع، والليث، والقنفذة، والقرى التابعة لهم. انظر: المكي، محمد الأمين. خدمات العثمانيين في الحرمين الشريفين ومناسك الحج. ترجمة. مخلوف، ماجدة. ط٢. القاهرة: دار الآفاق العربية، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص٩٥.

(١٠٦) الصواف، فائق بكر. رمضان، مصطفى محمد "أهمية ثغر جدة في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي" مجلة الدارة. س٦, ع٢، (ربيع أول ١٤٠١هـ/يناير ١٩٨١م)، ص٢١٧. وقد استمرت جدة مقراً لهذه الولاية حتى سنة ١٢٨١هـ/١٨٦٤م، عندما أُلغيت ولاية جدة، وأصبحت تعرف باسم (ولاية الحجاز) ومقرها مكة المكرمة (انظر: السالنامة الحجازية. ط٢. مكة المكرمة: المطبعة الميرية، ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م، ص١٣٠) واستمرت ولاية الحبش بعد ذلك تابعة للإدارة العثمانية في ولاية الحجاز حتى سنة ١٢٨١هـ/١٨٦٥م، عندما فُصلت عنها تماماً، وانضمت للإدارة المصرية على أن يؤدي إيرادهما إلى خزانة جدة، كما كان في عهد محمد علي باشا (١٢٢٠-١٢٦٥هـ / ١٨٠٥-١٨٤٨م) انظر: دياب، أحمد إبراهيم. مرجع سبق ذكره، ص ص ٢٠٩-٢١٠.

(١٠٧) كانت مصوع هي مركز الولاية الجديدة، ومقر حاكمها في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، في حين كان نائب الحاكم يقيم في سواكن، وفي القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، أصبح حكام الولاية يقيمون في سواكن، بعد أن تُركت مصوع وما جاورها إلى الحكام المحليين، وفي القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، نُقل مقر الولاية إلى جدة. انظر: Gengiz Orhonlu. a.g.e,S89.

(١٠٨) Ibid, S46.

(١٠٩) Ibid, S46.

(١١٠) البحراوي، محمد. مرجع سبق ذكره، ص ٩٧.

(١١١) Gengiz Orhonlu. a.g.e. S45.

(١١٢) J.S. Trimingham. Op. cit., PP 87-88.

(١١٣) الرمال، غسان. مرجع سبق ذكره، ص ٢٧٧.

(١١٤) المالكي، محمد ضيف الله عزيز. العثمانيون والبحر الأحمر (٩٢٣-١٠٤٥هـ/ ١٥١٧-١٦٣٥م)، رسالة ماجستير غير منشورة. الإسكندرية: جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص ١٨٤.

(١١٥) Gengiz Orhanlu. a.g.e. S46.

(١١٦) Ibid, S 62.

(١١٧) Ibid, S 62.

(١١٨) العارف؛ ممتاز. مرجع سبق ذكره، جـ١، ص ٩٩.

(١١٩) Gengiz Orhonlu. a.g.e, S 62.

(١٢٠) Ibid, S 62.

(١٢١) Ibid, S 63.

(١٢٢) Ibid, S 64.

(١٢٣) Gengiz Orhonlu. a.g.e, SS 64-66.

(١٢٤) Ibid, S 66.

(١٢٥) Ibid, S 68.

(١٢٦) رياض، زاهر. مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٢.

(١٢٧) قاسم، جمال زكريا. مرجع سبق ذكره، ص ٢٣٩.

(١٢٨) Gengiz Orhonlu. a.g.e, S 62.

(١٢٩) عابدين، عبدالمجيد. مرجع سبق ذكره، ص ١٩٤.

(١٣٠) Gengiz Orhonlu. a.g.e, S 63.

(١٣١) لا توجد معلومات دقيقة عن عدد سنوات حكم الملك داكن، سوى أنه حكم في بداية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، ضمن المدة التأسيسية للسلطنة.

(١٣٢) إستانبول: أرشيف رئاسة الوزراء. تصنيف دفتر المهمة. دفتر رقم ٢١٧/٢٨، بتاريخ شهر ذي الحجة في سنة ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م، ص ٢١٨.

(١٣٣) Gengiz Orhonlu. a.g.e. S 63.

(١٣٤) لم تتوصل الباحثة إلى اسم حاكم هرر آنذاك (أثناء استيلاء الإمبرطور سرسا دنجل على إمارة هرر الإسلامية).

(١٣٥) الرمال، غسان. مرجع سبق ذكره، ص ٢٨٦.

(١٣٦) السلطان مراد الثالث: هو السلطان مراد بن سليم الثاني، وُلد في سنة ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م، وتولى السلطنة في سنة ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م، اشتهر بالسخاء ومساعدة الفقراء، كما أسس وقفاً ضخماً عُرف باسمه، كما سُمي بـ (وقف الدشيشة الصغرى) خاض عدة معارك حربية ضد بلاد فارس (إيران) وألمانيا، توفي في سنة ١٠٠٣هـ/١٥٩٤م، وعمره تسع وأربعون سنة بعد أن أمضى في الحكم إحدى وعشرين سنة. انظر: أوغلو، عبدالقادر ده ده. مرجع سبق ذكره، ص ١٢.

(١٣٧) علي بك ميرال: هو أحد ضباط البحرية العثمانية، الذين اشتركوا في أسطول خير الدين باربروسا في الجزائر، قاد حملتين بحريتين للتصدي للنفوذ البرتغالي، الأولى: على مسقط في سنة ٩٨٩هـ/١٥٨١م، والثانية على شرق إفريقيا في سنة ٩٩٣هـ/١٥٨٥م، وسنة ٩٩٨هـ/١٥٨٩م، توفي في لشبونه أثناء أسره. انظر: متولي، أحمد فؤاد "البحرية العثمانية والبرتغالية في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي على ضوء الوثائق التركية" مجلة كلية العلوم الاجتماعية. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع٤ (١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) ص ص ٣٩٥-٣٩٦.

(١٣٨) بطي، محمد عبيد. الصراع العثماني البرتغالي في القرن السادس عشر. د.م: د.ن، د.ت، ص ٢٠٧.

(١٣٩) ذكر بعض الباحثين أن حملة دي ميلو هي التي اشتبكت مع العثمانيين وقتلت علي ميرال (انظر: المالكي، محمد ضيف الله عزيز. مرجع سبق ذكره، ص ١٩٦. الصيرفي، نوال حمزة. النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي. الرياض: مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ١٨٠) وهذا خطأ لأن حملة دي ميلو عادت إلى الخليج قبل وصول أسطول علي ميرال مرة أخرى، ويؤيد هذا الرأي المعاصر للأحداث والمرافق للحملة البرتغالية بيدروا تخسيرا Bidrua Takhisra. بعد حصوله على تصريح بالسفر ومرافقة الأسطول البرتغالي.

انظر: تخسيرا، بيداروا. تاريخ الخليج والبحر الأحمر. ترجمة أمين، عيسى. د.م: مؤسسة الأيام للصحافة والنشر، د.ت، ص ص ١١-١٤.

(١٤٠) القيسي، عبدالوهاب "المجابهة البرتغالية العثمانية في المياه العربية" ضمن ندوة رأس الخيمة التاريخية بعنوان (الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي) رأس الخيمة، مطبعة النخيل، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، جـ١، ص ١٧٢.

(١٤١) بطي، محمد عبيد. مرجع سبق ذكره، ص ٢٠٨.

(١٤٢) تخسيرا، بيدروا، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢.

(١٤٣) قبائل الوزامبا: هي قبائل خرجت من حوض نهر الكونغو واتجهت نحو المنطقة الساحلية، فمرت بموزمبيق ووصلت إلى ممباسا، وقد نشرت الدمار والخراب وألقت الذعر والخوف في نفوس السكان. انظر: قاسم، جمال زكريا. أصول العلاقات التاريخية العربية الإفريقية. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص ١٠٣.

(١٤٤) بطي، محمد عبيد. مرجع سبق ذكره، ص ٢٠٩.

(١٤٥) قل النشاط البحري البرتغالي في البحر الأحمر بعد هزيمة الأسطول البرتغالي في موقعة (الأرمادا الأسبانية) في سنة ٩٩٧هـ/١٥٧٧م، على يد الأسطول الإنجليزي. انظر: بطي، محمد عبيد. مرجع سبق ذكره، ص ٢٠٩.

(١٤٦) المالكي، محمد ضيف الله عزيز. مرجع سبق ذكره، ص ص ١٩٧-١٩٨.

(١٤٧) كانت بعثة مليثوردي سيلفيا في سنة ١٠٠٤هـ/١٥٩٦م آخر محاولة من البرتغاليين للدخول في البحر الأحمر حتى نهاية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي وبداية القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، عندما خرجوا نهائياً في سنة ١٠٣٢هـ/١٦٢٢م، بعد هزيمتهم على يد التحالف الصفوي الإنجليزي، ودخول دول أوروبية أخرى منافسة (هولندا وإنجلترا وفرنسا) انظر: زغلول، سعد، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٩. عابدين، عبدالمجيد. مرجع سبق ذكره، ص ص ١٨٨-١٩٥.